

مختصر تاريخ البصرة

بقلم

على ظريف الاعظمي

(مؤلف تاريخ ملوك الحيرة وتاريخ الدول)
(اليونانية في العراق وتاريخ الدولة)
(الفارسية في العراق وتاريخ بغداد)

طبع على نفقة صاحب المكتبة العربية

نيمان ايدوشمي الكبي

حقوق الطبع محفوظة المؤلف



مطبعة الفرات * بغداد

١٣٤٦ هـ

١٩٢٢ م

المقدمة

لما كان الاقبال على المباحث التاريخية يزداد يوماً فيوم في قطرنا المحبوب وكانت رغبة النشؤ الجديد كثيرة في الاسفار التاريخية والمصنفات العلمية وكانت مدينة البصرة من المدن الاسلامية الكبرى التي لها شأن عظيم في تاريخ العرب اهديت هذا المختصر الى صاحب المكتبة العربية السيد نعمان الاعظمي لما له من الولوع في خدمة العلوم والاداب على ان ينشره خدمة لهذا العلم الجليل ، وتسهيلاً للقراء جعلته فصلين يتضمن الاول منها ذكر ما تمكنت من جمعه من تاريخ البصرة القديمة منذ تأسيسها الى حين خرابها وما حدث فيها من الانقلابات السياسية والوقائع الحربية والتغيرات الادارية وغيرها . ويبحث الثاني عن تاريخ البصرة الحديثة (الحالية) منذ عمرت حتي انقراض الدولة العثمانية .

ولما كنت معترفاً بقلّة بضاعتي ارجو ممن يجدي هفوة او زلة ان يرشدني الى الصواب لاصح موضع الخطأ في طبعة اخرى . كما اني ارجو من القراء ان يعذروني عن ذكر الحوادث التي حدثت بعد افول هلال دولة الاتراك لما اخشاه من الوقوع في شرك يصعب علي التخلص منه .

الفصل الاول

البصرة القديمة

تمهيد

كان في عهد الدولة الساسانية الفارسية (٢٢٦ — ٦٥١) م (١) في جنوبي العراق بين دجلة و كارون امارة فارسية تسمى امارة ميشان (٢) كان مركزها بلدة ميشان على الخليج الفارسي باسفل موضع البصرة ، وكانت هذه الامارة تضم بلدة ميشان ومدينة الابله وعدة حصون ومواقع كان لبعضها اسماء فارسية وبعضها اسماء عربية منها المسلحة التي سماها العرب بعد خرابها الخريبة (٣) ومنها الثني والحفير والمضيح وغيره (٤) وكانت تلك الامارة اوذلك الثغراءظم ثغور الفرس واشدها شوكة في ذلك العهد وكان عليها في عهد الملك اردشير الثالث بن شيرويه

(١) انقرضت هذه الدولة بقتل يزدجرد الثالث في سنة ٦٥١ م في خلافة عثمان بن عفان ومدتها (٤٢٥) سنة ولكنها ملكت العراق ٤١١ تقريباً (٢٢٦ — ٦٣٧) م وقد انقرضت من هذا القطر في سنة (٦٣٧) م على يد القائد الاسلامي سعد ابن ابى وقاص في ايام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (٢) وسماها بعضهم پرات ميشاه وكرخاديشان وسماها اليونان خارك او حارك وسماها العرب دست ميسان وميشان . في لواء البصرة اليوم مزرعة كبيرة فيها بساتين لآل الزهير على النهر المعروف بكرمة علي شمال البصرة القديمة تسمى ميشان ومن المحتمل انها موقع ميشان القديمة او انها سميت باسمها والراسخون بهذا العلم اعلم (٣) وسمى بعضهم دهيشتا باذاردشير ويقال انها كانت مدينة قديمة للفرس وكان لها عدة اسماء وكان قصر لالمرزبان (٤) الثني نهر قرب موضع البصرة كان فيه ماء والمضيح اسم مكان قريب من موقع البصرة .

(١) قائد فارسي اسمه هرمز وهو ممن ثم شرقهم عند الفرس في ذلك العصر .

وفي الوقت الذي كانت المملكة الفارسية قد تزعمت اركانها من توالي الفتن الداخلية المستعرة نيرانها في كل جهة من جهاتها في الوقت الذي كان القائد العربي المثنى بن حارثة الشيباني يغير فيه بمجموعه على ناحية الحيرة في ايام الخليفة الاول ابي بكر عبد الله بن ابي قحافة كان قطبة بن قتادة السدوسي يغير بمجموعه على ناحية امارة ميسان او ناحية المنطقة التي بها لواء البصرة اليوم (٢) .

وكان الخليفة الاول (٣) قد علم بالاضطرابات المتوالية التي كانت في مملكة الفرس وكان يفكر في فتح بلادهم ومستعمراتهم ولكنه كان مشغولا حينذاك بقتال المرتدين فلما فرغ من حرب المرتدين . ودانت له جزيرة العرب عزم على فتح العراق وكتب في اواخر سنة ١١ هـ الموافقة لسنة ٦٣٢ م الى القائد الكبير خالد بن الوليد — وهو يومئذ باليامة — يأمره ان يسير بجيشه الى العراق لنشر الدعوة والفتح وان

() واردشير هذا هو ابن شيرويه بن كسرى ابرويز وقد تولى سنة (٦٢٩) وكان طفلا فحكم مدة قصيرة ثم قتل .

(٢) ويروي ان سويد بن قطبة الذهلي كان يعير في تلك الناحية (٣) تولى الخلافة في ٥ ربيع الاول سنة ١١ هـ الموافقة لسنة ٦٣٢ م ومات في ٢٢ جادي الثاني سنة ١٣ هـ الموافقة ٢٢ اغسطس سنة (٦٣٤) م وتولى بعده عمر وقتل في ٣٩ ذي الحجة سنة ٢٣ هـ الموافقة سنة (٦٤٤) م بعد ان فتح عدة اقطار ووسع المملكة الاسلامية

يبدأ بشفر الهند وهو الابله (١) وان يستنفر من قاتل اهل الردة واحدا
لا يستعين بمرتد ، وكتب بمثل ذلك الى عياض بن غنم ولكنه امره
ان يبدأ بالمضيح ويدخل العراق من اعلاه ويسير حتى يلتقي بخالد ،
وكتب الى المثنى واصحابه (حرمة ومعدور وسلمى) يأمرهم ان يلحقوا
بخالد بالابله وكانوا يومئذ يغيرون على ناحية الحيرة ، فسار خالد بن
معه في اوائل محرم سنة ١٢ هـ وسار عياض بمن معه ايضا في الوقت
نفسه ثم كتب كل منهما وهما في الطريق يستمدان الخليفة ، فامد
خالد بالقعقاع بن عمر والتميمي وامد عياضا بعبد بن غوث الحميري . ثم
التقى خالد وعياض بارض العراق في الجهة الجنوبية منه وكان مجموع من
معهما عشرة آلاف مقاتل ثم انضم اليهما المثنى واصحابه وكانوا ثمانية آلاف
مقاتل فبلغ الجيش الاسلامي ثمانية عشر الف مقاتل .

ولما تكامل الجيش العربي جعله خالد ثلاث فرق . الاولى وهي
المقدمة جعل عليها المثنى بن حارثة ، والثانية جعل عليها عدي بن حاتم ،
والثالثة قادها بنفسه . وسير الاولى ثم الثانية ووعدها الحفير ولم يحملهم
على طريق واحد ثم سار هو في طريق آخر وقرر مصادمة الفرس
في الحفير .

(١) الابله مدينة كانت على نهر الابله بين البصرة والخليج الفارسي وكانت مرفأ السفن
من الهند وتغر من ثغور الفرس وكانت عامرة كثيرة البساتين وقد فتحها المسلمون في
رجب سنة (١٤ هـ) وبقيت عامرة في ايام الخلفاء الراشدين وابام الامويين ثم خربت في
سنة ٢٥٦ هـ في ايام العباسيين .

وقعة الحفير

بعد ان عبأ خالد جيوشه وسيرها الى الحفير سمع القائد هرمز أمير
ميشان بقدومهم فكتب الى كسرى بالخبر وطلب منه النجدة وسار
بمن معه الى الكواظم (١) ثم سمع ان المسلمين تواعدوا الحفير فسبقهم
اليه ونزل به ، فسمع خالد بهم فنزل بقربهم وكتب الى هرمز يقول .
(اما بعد فاسلم تسلم او اعقد لنفسك وقومك الذمة واقرب الجزية
والا فلا تلومن الا نفسك فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة)
فاختار هرمز الحرب وبعث بكتاب خالد الى كسرى وجمع جوعه ونهياً
للحرب وعبأ كل من خالد وهرمز جيشه ثم التحم القتال بين الفريقين
فانجلت المعركة عن انهزام الفرس وقتل قائدهم هرمز وغنم المسلمون
اموالهم وذلك في محرم سنة ١٢ هـ وهذه اول وقعة حدثت في العراق
بين المسلمين والفرس وتسمى وقعة الحفير وذات السلاسل (لان الفرس
اقتربوا بالسلاسل لئلا يفرو منهم احد) (٢)

-
- (١) الكواظم جمع كاظمة وهي مدن قديمة كانت عند خليج الكويت .
(٢) ويروى ان اول وقعة حدثت في كاظمة ثم تلاها وقعة الحفير وقيل ان المعركة
الثانية حدثت في الثني على ان بعض المؤرخين يزعم ان اول مكان وصل اليه خالد في العراق
بلاد بانقيا وباروسما والليس والراجح ما ذكرناه وانه بعد ان صالح اهل الحيرة على مال
قاتل الفرس وفاز عليهم في كل المعارك ثم سار الى الشام سنة ١٣ هـ — ٦٣٤ م بامر الخليفة الاول
وترك في العراق نصف الجيش واستخلف عليه المثنى بن حارثة ثم تولى القيادة العامة
ابو عبيد ثم المثنى مرة ثانية ثم سعد ابن ابي وقاص وعلى يده تم فتح العراق في سنة
١٦ هـ (سنة ٦٣٧ م) .

وقعة الثني

لما انتهى خالد من وقعة الحفير ارسل المثنى بن حارثة في آثار الفرس المهزمين وسار هو بمن معه حتى نزل موضع الجسر الاعظم عند موقع البصرة .

و كان ملك الفرس لما وصله كتاب هرمز يخبره بقدم الجيش الاسلامي ويطلب منه النجدة قدامد هرمزاً بجيش تحت قيادة قارن بن قريانس فلما وصل المذار (١) لقيهم المهزمون فاجتمعوا وتوقفوا قليلاً ثم ساروا فنزلوا الثني ، فسمع بجيئهم خالد فتبعاً لملاقاهم وسار اليهم فاقتل الفريقان وكانت معركة هائلة قتل فيها عدد كبير من الفرس فيهم قائدهم قارن وهو ممن تم شرفه عند الفرس كهرمز . وكانت الغنائم في هذه الوقعة كثيرة وسبى المسلمون فيها عيالات المقاتلة (٢) وسميت وقعة الثني وقد حدثت في اوائل صفر سنة ١٢ هـ

مسير خالد الى الشمال

بعد ان فرغ خالد من وقعة الثني أسر على قسم من جيشه سعيد بن النعمان وسيره الى الحفير وامره بالنزول هناك واقام هو في قسم من

(١) المذار قصبة وقيل بلدة بالقرب من واسط بينهما وبين البصرة اربعة ايام الى الشمال (٢) وكان في السبي يومئذ الحسن البصري وكان نصرانياً و

جيشه في الثني يتربقب اخيار الفرس ويتربد حر كلهم . ثم ارتأي بعد ايام قليلة ان يسير نحو شمالي البصرة مما يلي الفرات للتوغل في البلاد العراقية فجمع جيوشه وسار بهم بعد ان ترك حامية في موضع البصرة او مما يلي تلك المنطقة لاشغال من هناك من الفرس (١) والظاهر انه امر على تلك الحامية قطبة بن قتادة لان قطبة كتب بعد موت ابي بكر الى عمر بن الخطاب يعلمه مكانه ويقول له : لو كان معه عدد كاف لظفر بمن كان قبله من الفرس فنفاغم عن بلادهم . فكتب اليه عمر يأمره بالمقام والحذر ووجه اليه شريح بن عامر احد بني سعد بن بكر فلما وصل شريح ترك قطبة في موضعه ومضى الى الاهواز لغزو الفرس فقتلوه وظل قطبة يغير على تلك الجهات الى ان ارسل عمر سعد بن ابي وقاص قائداً عاماً على الجيش الاسلامي فارسل سعد بعد وقعة الفادسية الشهيرة التي مزقت الفرس في محرم سنة ١٤ هـ عتبة بن غزوان المازني الى جهة موضع البصرة بامر الخليفة الثاني عمر (٢) فاما وصل عتبة بمن معه نزل حيال الجسر الصغير فبلغ صاحب الفرات قدومه فاقبل لقتاله بمجموعه .

- (١) لما كانت حروب خالد وانتصاراته لاهل امة الله في تاريخ البصرة تركنا ذكرها .
 (٢) ويروى ان عتبة ارسله عمر من المدينة واوصاه ووعظه وقال له انطلق انت ومن معك حتي اذا كنتم في اقصى ارض العرب وادنى ارض العجم فاقموا فساد عتبة ومن معه ونزل في موضع البصرة في ربيع الاول سنة ١٤ هـ وكان معه اربعون رجلاً فيهم نافع بن الحارث الثقفي وابو بكر وزيدان ابن ابيه وانظم اليه قطبة فيمن معه من بكر بن وائل ونعيم .

فتزاحف الفريقان وحدثت بينهما معركة عنيفة انجلت عن انكسار
الفرس ووقوع قائدهم أسيراً بيد عتبة .

فتح الابله

بعد ان هزم عتبة حامية الفرس مراراً في تلك الجهات واستولى
على عدة حصون أو مخافر كانت تقيم فيها جنود فارسية لمنع غارات
العرب منها المسلحة التي سموها بعد خرابها الخريبة اجتمع اهل الابله
وخرجوا لقتاله فقاتلهم فانتصر عليهم وهزمهم حتى دخلوا المدينة في
رعب شديد ثم رجع الى معسكره وترك في قلوب من في الابله خوفاً
اضطروهم الى اخلاء المدينة فحملوا ما خف وعبروا الماء ، فبلغ ذلك عتبة
فاسرع اليها ودخلها وغنم المسلمون اموالاً وسلاحاً وسبياً وذلك في
رجب سنة ١٤ هـ .

تأسيس البصرة القديمة

على اثر فتح الابله نزل عتبة بجيشه على طرف البر الى جانب مسلحة
الفرس التي خربت في تلك الاثناء فسموها الخريبة واتخذ المكان معسكراً
لانه لا يحول الماء بينه وبين مكة اذ كان من ذلك الموضع على الضفة
الغربية للفرات الى مكة رمال وجبال وسهول لا يفصل بينهما نهر ثم
كتب الى الخليفة الثاني في موسم الشتاء يستأذنه بالبناء فاذن له فبنى

مسجداً وداراً للامارة من القصب في الرحبة التي سميت رحبة بني هاشم وذلك في سنة ١٤ هـ (٦٣٦ م) فبنى الناس بيوتهم من القصب . وقد بنيت على بعد اربعة فراسخ من مدينة الابله قرب الخليج الفارسي في منتهى العراق عند موقع الزبير .

وعلى اثر ذلك اجتمع اهل ميسان وخرجوا لقتال المسلمين فخرج اليهم عتبة فهرزمهم واخذ مرزبان ميسان اسيراً .

وبعد قليل استعمل عتبة على جيشه مجاشع بن مسعود وسيره الى الفرات واستخلف على المدينة المغيرة بن شعبة الى ان يعود مجاشع فاذا قدم فهو الامير وسار عتبة الى يثرب عاصمة المسلمين لملاقاة الخليفة عمر بن الخطاب . فانتصر مجاشع بن مسعود على اهل الفرات . اما المغيرة بن شعبة فانه بلغه ان الفرس القريبين منه اجتمعوا لقتاله فخرج اليهم بمن معه فلقبهم بالمرغاب وانتصر عليهم وكتب بذلك الى الخليفة . فلما وصل كتابه الى الخليفة قال لعتبة (من استعملت على البصرة) فقال مجاشع بن مسعود قال (أتستعمل رجلاً من اهل الوبر على اهل المدر ؟) واخبره بما كان من امر المغيرة وامره بالرجوع الى عمله واوصاه بوصايا هامة فمات عتبة في الطريق في سنة ١٤ هـ

ولما بلغ الخليفة الثاني موت عتبة ولى على البصرة المغيرة بن شعبة

وذلك في سنة ١٤ م ثم عزله في سنة ١٦ هـ وولي عليها ابا موسى
الاشعري (١)

وفي هذه السنة (سنة ١٦ هـ) حدث حريق بالبصرة فخافوا الحريق
مرة اخرى فاستأذنوا الخليفة في البناء باللبن فاذن لهم وكتب اليهم يقول
(افعلوا ولا يزيدن احدكم على ثلاثة ابيات ولا تطاولوا في البنيان
والزموا السنة بآزمكم الدولة) فخططوا المناهج والشوارع وجعلوا المدينة
خططاً بحسب القبائل لكل قبيلة خط . وجعلوا عرض شارعها الاعظم
سبعين ذراعاً وعرض ما سواه عشرين ذراعاً وجعلوا عرض كل زقاق
سبعة اذرع ووسط كل خط رحبة فسيحة لم رابط خيولهم وتلاصقوا بالمنازل
واول شي بني فيها مسجدها ووضعوه في الوسط بحيث تتفرع الشوارع
منه (٢) ولما اذن عمر ببناها باللبن ساق اليها جماعات كبيرة من
اشراف العرب من اهل البادية واسكنهم فيها وكان على تنزيلها ابو
الحرباء عاصم بن دلف (٣)

(١) وقبل ولاءه في سنة ١٧ هـ (٢) ويروي ان سمداً ارسل نفراً الى عمر يستأذنه
في بناء البصرة باللبن فاذن لهم وامرهم بتخطيط الشوارع على الوجه المذكور وما قيل
من انها بنيت باللبن في ايام عتمة بن غزوان فغير صحيح لانه مات في سنة ١٤ هـ مد
ان بناها بالقصب ثم بنيت باللبن في سنة ١٦ هـ بعد سقوط المدائن بقليل في ايام اماره ابي
موسى الاشعري (٣) وقد بالغ بعض المؤرخين وزعم ان عمر ساق الى البصرة بعد بنائها
باللبن سبعين الف بيت من اشراف العرب من سكان البادية واسكنهم فيها .

البصرة في عهد الخلفاء الراشدين

لما تم فتح العراق بعد سقوط المدائن عاصمة الفرس على يد القائد الاسلامي سعد بن ابي وقاص في سنة ١٦ هـ الموافقة لسنة ٦٣٧ م رتب الخليفة الثاني عمر بن الخطاب العمال وقدر رواتبهم واقربا بموسى الاشعري على ولاية البصرة وجعل له ستمائة درهم في الشهر ووجه شرح ابن الحرث على قضاء البصرة واجرى عليه مائة درهم وعشرة اجرة في الشهر (١) وكتب الى ابي موسى الاشعري بابقاء الخراج بالمساحاة باعتبار الجريب كما كانت في ايام الفرس على الجريب من الحنطة قفيز ودرهم (او اربعة دراهم) وعلى الشعير درهمين وعلى الجريب من النخل ثمانية دراهم ومن الكرم (العنب) عشرة دراهم ومن القصب ستة دراهم ومن الرطبة خمسة دراهم سواء زرعت الارض ام تركت . (والجريب (٣٦٠٠) ذراعا مربعا . والقفيز عشر الجريب ٤) . اما الاراضي التي كانت للدولة الفارسية المنقرضة وهي التي صارت ملكا للدولة الاسلامية فانه وضع عليها العشر كما وضع المكس على التجارة . وابقى الجزية على اهل الذمة كما كانت في عهد الفرس باعتبار درجات الناس ومقدرتهم واستثنى نصارى العرب منها وجعل عليهم الزكاة كالمسلمين لانهم نصروا جيوشه .

(١) وبقي نريد دلي التمام الى ايام المحاجن يوسف النقي في سنة ٧٥٥ هـ مستقال

وبعد ان كان موضع البصرة معسكر للجيش الاسلامي تقيم فيه العرب مع نسايتهم واولادهم كما يقيم جيش الاحتلال في هذا العصر صار ذلك الموضع مدينة كبيرة ذات اسواق واسعة ويوت نخمة ، وسميت بهذا الاسم (البصرة) لانها بنيت على ارض غليظة ذات حجارة رخوة بيضاء (اذ تسمى العرب مثل هذه الارض البصرة) واخذت عمارتها تزداد يوما فيوماً منذ ايام عمر بن الخطاب .

ولما قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في اواخر سنة ٢٣هـ الموافق سنة ٦٤٤ م وتولى بعده عثمان بن عفان اقر اباموسي الاشعري على البصرة ثم عزله في سنة ٢٩هـ وولاهها عبد الله بن عامر بن كريز (وهو ابن خال عثمان) وكان حدث السن (١) وفي ايامه في سنة ٢٣هـ طعن اهل الكوفة في عثمان وانكروا عليه ولاية جماعة من اقر بائنه لايصلحون للامارة ثم سكنوا والكنهم ظلوا ناقلين عليه سرا حتى اذا ما كانت سنة ٣٥هـ ثاروا واتفق معهم اهل البصرة واهل مصر وخرج خمسمائة رجل من الكوفة ومثلهم من البصرة ومثلهم من المصريين واجتمعوا بالمدينة وطلبوا من عثمان عزل عماله . وكان عثمان قد سار على سيرة الشخيين بادي* بدء ثم غير سيرته فعزل اكثر الولاة القديرين وولى اقر بائنه

() قبل كان عمره حينذاك ٢٥ سنة . ثم ولاء عثمان في سنة ٣١هـ على الجيش في بلاد فارس وعهد اليه ان يتم فتحها ففتحها واتقرضت دولة الاكسرة على يده في سنة ٣١هـ الموافقة لسنة ٦٥١ م في ايام عثمان .

لانه كان كافا باهله مستسلما الى اقربائه من بني امية حتى تقم عليه اكثر اصحابه ونفروا منه . فكبرت الفتنة فحاصروه في داره ثم هجموا عليه وقتلوه بعد حوادث طويلة وذلك في ١٨ ذي الحجة سنة ٣٥ هـ الموافقة لسنة ٦٥٦ م

وبويع بالخلافة الامام علي في ٢٥ ذى الحجة من السنة المذكورة فعزل اكثر ولاية عثمان منهم امير البصرة عبد الله بن عامر فانه عزله في اوائل سنة ٣٦ هـ الموافقة لسنة ٦٥٦ م وولى مكانه عثمان بن حنيف فلما وصل البصرة الامير الجديد ولى على شرطة البصرة حكيم بن حبله وفي ايام اماره ابن حنيف حدثت وقعة الحمل الشهيرة بالبصرة . وخلصتها ما يأتى :

وقعة الحمل

لما قتل عثمان وصارت الخلافة للامام علي استاء كثير من اهل مكة والمدينة وعبيرها لقتل عثمان خصوصاً بنو امية ومن جملتهم عائشة بنت ابي بكر فانها لما بلغها الخبر استنكرت قتله استنكاراً شديداً وكانت يومئذ بمكة وقالت (ما كنت ابالي ان تقم السماء على الارض ، قتل والله مظلوماً واذا طالبة بدمه) مع انها كانت من جملة الناقين عليه حينما غير سيرته واستسلم لاقربائه ، فانضمت عائشة الى من اتهم علياً بقتل عثمان

لان قتلة عثمان اتفقوا حوله . وكان طلحة والزبير بن العوام ممن طمع بالخلافة بعد قتل عثمان وليكنه . لما رأيا الاكثرية الساحقة لعلي وافقوا القوم وبايعاه مع الناس وعينا كل منهما الى ولاية من الولايات الكبرى ، بل كان طلحة لا يشك في ولاية البن والزبير لا يشك في ولاية العراق فلما استبان لهما ان عليا غير موليهمما قبلاه فقالا له هل تدري على ما بايعناك ، قال نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه ابا بكر وعمر وعثمان ، فقالا وليكننا بايعناك على انا شريكك في الامر ، فقال علي وليكنكما شريكنا في القول والاستقامة والعون على العجز والاولاد ، فانصرفا ثم اظهرا الشكاة فتكلم الزبير في ملائمة من قرئش فقال (هذا جزاءنا من علي ، قمنا له في امر عثمان حتى اثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته ، وكفى الامر فلما نال ما اراد جعل دوننا غيرنا . فقال طلحة (ما الاثم الا انا كنا ثلاثة من اهل الشورى كرهنا احدا و بايعناه واعطيناه ما في ايدينا ومنعنا ما في يده فاصبحنا وقد اخطانا مارجونا) (١) فانهى قولها الى علي فدعى عبد الله بن عباس فقال له (هل بلغك قول هذين الرجلين) قال نعم بلغني قولها ، قال : فما ترى ، قال ارى انهما احبا للولاية فول البصرة الزبير وول طلحة الكوفة فانهما ليسا باقرب اليك من الوليد وابن عامر

(١) ويروى ان طلحة والزبير سئلا عليا ان يوايهما البصرة والكوفة فابى فلما يئسا من ذلك سارا الى مكة وانضما الى عائشة .

من عثمان. فقال علي: ويحك ان العراقيين بها الرجال والاموال ومتى تملكوا رقاب الناس يستميلوا السفيه بالطمع ويضربوا الضعيف بالبلاء ويقويوا على القوي بالسلطان ولو كنت مستعملاً احداً لضره ونفعه لاستعملت معاوية على الشام ولو لا ما ظهر لي من حرصهما على الولاية لكان لي فيها رأي.

فلما يأس كل من طلحة والزبير من الولاية مضيا الى مكة والتقيا بعائشة وعظماؤها شأن عثمان وشايعاها على ما تطلبه هي وغيرها من الذين ساء لهم قتل عثمان، وقالوا لها تجملنا هرباً من غوغاء الناس وفارقنا قومنا حياري لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون انفسهم، فقالت (نهض الي هذه الغوغاء اوناتي الشام) وعزمت على الاقتصاص من علي وانحازت الى من قام ضده من ذوي المطامع الذين اتخذوا قتل عثمان ذريعة لنيل مقاصدهم وصارت تطالب عليا بدم عثمان جهاراً وقوي عزمها بطلحة والزبير.

وكان قد وصلهم خبر رد اهل الشام يعة علي وقيام معاوية بالمطالبة بدم عثمان فعزموا الشخوص الى البصرة وشرعوا في تجهيز الجيوش وانضم اليهم جمهور كبير، فبلغ ذلك علياً فلم يستطع ان يسلم قتلة عثمان لانهم يعدون بالالوف وهم الذين عملوا على توليته الخلافة ولو انه امر بالقبض عليهم لم يسلموا حتى تسفك آخر قطرة من دماءهم فيكون ذلك صدع

لوحة المسلمين فامتنع علي عن تسليمهم. فخرجت عائشة من مكة ومعها طلحة والزبير وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وغيرهم من بنى أمية الذين اعانوها ونادى مناديهما في الناس يطلب ثار عثمان فاجتمع نحو ثلاثة آلاف مقاتل (١) فساروا نحو البصرة.

وبلغ عليا خبرهم وكان متجهزاً الى الشام فارسل اليهم ينصحهم فلم يجيبوه فتجهز لهم وسار في اثرهم قاصداً البصرة وانضمت له جموع حتى بلغوا نحو تسعة آلاف مقاتل (٢)

اما عائشة فانها وصلت البصرة واصطف لها الناس في الطريق فقالوا لها: (يا ام المؤمنين ما الذي اخرجك من بيتك) وعلت اصواتهم به—— هذه الكرامة واكثروا عليها فقالت (ايها الناس والله ما بلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ، ولقد قتل مظلوماً ، غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل ، وان من الرأي ان ننظر الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الامر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب) فلما اتت قولها قال فريق من البصريين صدقت

(١) ويروى انها سارت الى البصرة بستمائة بعير وثلاثة آلاف مقاتل . وقيل انضم اليها جماعات حتى بلغ مجموع الجيش نحواً من سبعمائة الف مقاتل

(٢) ويروى انه سار به سبعة آلاف ثم جاءه من اهل الكوفة ستة آلاف . وقيل بلغ مجموع جيشه زهاء مئتين الفا . وقيل ثلاثون الفا .

وقال آخرون. كذبت وانقسموا الى قسمين قسم اتفق مع المطالبين بدم عثمان وهم الاكثر وقسم عدوهم هؤلاء من الخوارج ولم يزل الناس يقولون ذلك (صدقت كذبت) حتى ضرب بعضهم وجوه بعض. ورد على عائشة رجل من عبد القيس فنالوا منه وفتقوا لحيته وترامى الناس بالحجارة واضطربوا وهم مجتمعون في مربد البصرة (١) فجاء رئيس شرطة البصرة حكيم بن جبلة الى الامير عثمان بن حنيف ودعاه الى قتال اصحاب عائشة فابي عثمان . وكان حكيم عند نزول جيش عائشة في الخريبة قد اشار على عثمان بمنعهم من دخول البصرة فابي وقال (ما ادري مارأى امير المؤمنين في ذلك) فدخلوا بدون مانع وكتب الامير الى الامام علي يخبره بقدمهم، وبما حدث يوم دخولهم البصرة .

ثم آتى عبدالله بن الزبير الى خزينة الرزق ليأخذ الطعام الى اصحابه منها فجاء حكيم في سبعمائة من عبد القيس فقاتله فقتل حكيم وسبعون رجلاً من اصحابه وذلك في جادي الآخرة سنة ٣٦ هـ ثم ملك اصحاب عائشة بيت مال البصرة وقتلوا من الوكلاء خمسين رجلاً ، وروى انهم هجموا ليلاً على دار الامارة وقتلوا اربعين رجلاً من حرس عثمان بن حنيف وقبضوا على عثمان وحبسوه واستولوا على دار الامارة وبيت المال . ثم اطلقوا عثمان (٢) فسار الى ملاقة الامام علي .

(١) مربد البصرة محلة في البصرة من جهة البرية كان يجتمع فيها العرب كسوق عكاظ

(٢) قيل انهم اطلقوه بعد ان فتقوا لحيته ورأسه وحاجبيه ، وقيل جلدوه ايضاً فتقدم ! لها

على فقال يا امير المؤمنين بعثني ذا لحية وجنتك أمرداً ، فقال الامام : اصبحت اجراً وخيراً .

وبعد قليل وصل الامام علي بجيشه ونزل في الزاوية من البهرة وارسل القعقاع الى الثائرين ينصحهم وظل يرسلهم ثلاثة ايام . وكتب الى طلحة والزبير يدعوهم للتدبر في مصير امرهما وكتب الى عائشة يردها عما عزمتم عليه . فكتب اليه الزبير يقول (انك سرت مسيراً له ما بعده ولست راجعاً وفي نفسك منه حاجة فاقض لامرك) وكتب اليه طلحة (انك لست راضياً دون دخولنا في طاعتك واسئنا بداخلين فيها ابداً فاقض ما انت قاض) وكتبت اليه عائشة (جل الامر عن العتاب والسلام) .

واصر طلحة والزبير وعائشة على الحرب فعياً الزبير الجيش وتولى قيادته العامة وجعل طلحة على الفرسان وعبد الله بن الزبير على المشاة ومحمد ابن طلحة على القلب ومروان بن الحكم على المقدمة وعبد الرحمن ابن عباد على الميمنة وهلال بن وكيع على الميسرة . وعياً على جيشه فجعل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى المؤخرة هند المرادي وعلى الفرسان عمار بن ياسر وعلى المشاة محمد ابن ابي بكر وسلم رايته الى ابنه محمد بن الحنفية .

فلما تهيأ الفريقان للقتال امر علي منادياً فنادى في اصحابه (لا يرمين احد سهماً ولا حجراً ولا يطعن برمح حتى اعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة) . ثم خرج علي على بغلة النبي الشهباء ووقف بين الجيشين

فنادى الزبير وطلحة فخرجا اليه فقال للزبير (مالذي جئت على هذا)
 قال (لاني اراك لست اهلاً لهذا الامر) (١) فالتفت على الى طلحة
 فقال (جئت بعرض النبي تقاتل بها وخبات عرسك بالبيت أما بايعتني)
 قال (بايعناك والسيف على اعناقنا) . ثم قال علي لها (استحللنا عائشة
 بحق الله وبحق رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلا
 في قريش اولى مني برسول الله واسلامي قبل كافة الناس وكفايتي رسول
 الله كفار العرب بسيفي ورمحي ، وعلي برائي من دم عثمان ، وعلى اني
 لم استكره احداً على بيعة . وعلى اني لم اكن احسن قولاً في عثمان منكما)
 ثم وجه عثمان نحو الزبير وذكره بامور كان قد نسيها فرق له الزبير ، اما طلحة
 فانه اغلظ له القول في الجواب ، ثم انصرفوا الى مواضعهم .

واراد علي حقن الدماء فارسل من ينصح الثائرين ويردعهم فجرت
 بين الفريقين مراسلات حتى كاد الصلح ان يتم بها ، وشاع بين الحيشين
 خبر الصلح فاستبشروا بالخير . فلما جن الليل اجتمع الذين اشتركوا في
 قتل عثمان وتشاوروا على انتشاب الحرب لانهم خافوا ان تم الصلح ان يقتلوا
 به عثمان فاوقدوا نار الحرب مع الفلج فجعل الناس وتصادموا وهجم بعضهم
 على بعض واستمرت نار الحرب ونسب كل فريق الى الفريق الآخر
 القدر ، واقبل كعب بن سور حتى اتى عائشة فقال (ادركي فقد ابى

(١) ويروى انها اعتنقا وبكيا فقال علي (يا ابا عبد الله ما جاء بك ههنا) قال جئت

اطالب دم عثمان) فقال علي (تطالب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان)

القوم الا القتال اهل الله ان يصلح بك) فركبت على جملها في هودج
 قد ضربت عليه صفائح الحديد حتي لا تخرقه النبال فنصيبها وبرزت
 من البيوت حتي وقفت في وسط جيشها والناس يقتتلون . فقال الزبير
 لابنه عبد الله (يا بني عليك بحربك اما انا فراجع الى بيتي) فقال عبد
 الله (الآن وقد التفت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا انفصل
 رؤسنا منها) فقال الزبير (يا بني لا تعد هذا مني جيناً فوالله ما فارقت
 احداً في جاهلية ولا اسلام) قال فما يردك قال (ما ان علمته كسرك)

فانصرف الزبير الى البصرة ومنها سار قاصداً مكة فقتله عمرو بن
 جرموز المجاشعي غدرأ (١) بوادي السباع فتولى القيادة العامة عبد الله
 بن الزبير ، بينما عائشة واقفة اذ فاجئتها الهزيمة وشرعت جوعها تقر نحو
 البصرة فاطافت الخيل بالجل وكان البصريون يحمونهم ويقاثلون دونه
 اكراماً للتي عليه . فقالت عائشة لكعب بن سور (خل عن الجل وتقدم
 بالمصحف قادههم اليه) وناولته مصحفاً فاستقبل القوم فرموه رشقوا واحداً
 فقتلوه ورموا عائشة في هودجها فجعلت تنادي (البقية البقية يا بني) ويعلو
 صوتها (الله الله اذكروا الله والحساب) فيأبون الا اقداما وبالاخص
 اهل الكوفة . فلما رأى المنهزمون ذلك عادوا ورجعوا في امر جديد
 وصارت عائشة تشجعهم على القتال وتحضهم على بذل ارواحهم في سبيل

(١) قتله غدرأ وهو قائم يصلي في وادي السباع وهو الحل الذي فيه قبر طلحة اليوم ...

ليل الانتصار فاقتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا ثم رجعوا فقتلوا وكان طلحه قد قتل (١) وجعل القوم يتقاتلون علي زمام الجمل هذا يأخذه ليأسر عائشة والآخري يأخذه ليخلصها حتى ضاع الزمام بين الايدي ومات دون الجمل خلق كثير من الفريقين واخذ الزمام سبعون قرشيا ما نجا منهم واحد (ويروى تسعون) وصار الناس يتساقطون تحت الجمل وعائشة تنادى (البقية البقية) .

فلما رأى علي اشتداد القتال بين الطرفين امر بالهجوم على الجمل واخذه عنوة ونادى (اعقروا الجمل) فهجموا هجمة عظيمة فمقروا الجمل فسقط ، وانهزم جيش عائشة فامر علي مناديا فنادى (لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور) وحمل الهودج من بين القتلى فاذا هو كالفنذ لما فيه من السهام فجاء علي حتى وقف على الجمل وقال لمحمد بن ابي بكر (انظر احية هي ام لا) ويروى انه قال له (انظر هل وصل اليها شي من جراحة) فادخل محمد رأسه في هودجها . فقالت من انت قال (اخوك البر) فقالت (عقق) قال (يا اخية هل اصابك شي) فقالت (ما انت وذاك) . ويروى انه لما سقط الجمل اجتمع القعقاع وزفر على قطع بطانه وجلاه وطافا به ثم وضعاه ولما اراد محمد ان ينظر الى اخته عائشة مد يده في الهودج فقالت عائشة (من هذا احرق الله يده)

(١) كان قد اصابه سهم في رجله وهو ينادي (عباد الله الصبر الصبر : اللهم خذ له ثمان منى حتى يرضى فلما ثقل دخل البصرة فمات فيها .

فقال لها (قولي في الدنيا) فقالت (في الدنيا) . ثم اتاها علي ففـال
 (كيف انت يا اماء) قالت (بخير) قال (يغفر الله لك) قالت (ولك)
 فلما كان الليل ادخلها اخوها محمد البصرة بامر علي فانزلها في دار عبد
 الله بن خلف الخزاعي على صفية بنت الحرث ابن ابي طلحة . وانتهت
 هذه الحادثة بمكان الحرية بانتصار الامام علي في يوم الخميس ٢٢ جادي
 الاخرة سنة (٣٦) هـ (٦٥٦) م وكان اشتباكهم في القتال في يوم الخميس
 ١٥ من الشهر المذكور (ويروي في ١١ منه) .

وقتل من الطرفين زهاء عشرة آلاف (١) وسميت وقعة الجمل لانهم
 لم يروا منظراً مثل ذلك اليوم الذي تساقط الرجال فيه حول الجمل كتساقط
 الفراش على السراج . ولما هدا الناس جهاز علي عائشة بكل ما ينبغي
 من زاد ومتاع وركائب (٢) واختار لها اربعين امرأة من نساء البصرة
 المعروفةات وسير معها اخاها محمداً وشردمة من الجند وسيرها الى مكة
 ومنها الى المدينة بالاحترام اللائق بها .

ولما كان يوم مسيرها خرج الناس لتشييدها فخرجت يوم السبت
 غرة رجب سنة (٣٦) هـ فوقف لها الامام علي فودعهم وقالت (يا بني لا يعتب
 بعضنا على بعض والله ما كان بيني وبين علي في القديم الا ما يكون

(١) ويروي خمسة آلاف من اصحاب عائشة . وقيل سبعة عشر الفا من اصحاب

عائشة والفسبعون من اصحاب علي

(٢) ويرى انه خصص لائفة عليها اثني عشر الف درهم .

بين المرأة وبين اجائها) يقال علي (صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذاك وانها لزوجة نبيكم في الدنيا والاخرة) ، وشيعتها علي بنفسه عدة اميال وسرح بنيه معها مسافة يوم . وقد ندمت عائشة علي ما فعلت وعادت بنحفي حنين . وهي اول سيدة عربية قادت الجيوش في الاسلام

امارة عبد الله بن عباس علي البصرة

ولما انتهى علي من وقعة الجمل واستتب امره في العراق ولي علي البصرة عبد الله بن عباس « هو ابن عمه » وذلك في سنة (٣٦ هـ) وسار هو الي الكوفة . فلما كانت سنة (٣٧ هـ) وسار الامام علي لقتال معاوية في صفين وسار عبد الله الي الكوفة واستخلف علي البصرة زياد ابن ابيه فوجه معاوية بن ابي سفيان (بعد استيلاء عمرو بن العاص علي مصر) في سنة (٣٨ هـ) عامر بن الحضرمي « و يروي انه عبد الله بن الحضرمي » في جمع الي البصرة ولما سيره قال « يا عامر ان جل اهل البصرة يرون رأينا في عثمان وقد قتلوا في الطلب بدمه فهم لذلك حنقون يودون ان يأتيتهم من يجمعهم وينهض بهم في الطلب بشارهم ودم امامهم . فانزل في مضر وتودد الازد فانهم كلهم معك ودع ربيعة فلن ينحرف عنك احد سواهم لانهم كلهم ترابية فاحذرهم » . فسار ابن الحضرمي حتي وصل البصرة فنزل في بني تميم فاتاه العثمانية مسلمين عليه وحضره غيرهم فخطبهم وحثهم علي الاخذ

و بلغ ذلك زياداً وهو يومئذ نائباً عن عبد الله بن عباس أمير
البصرة فكتب الى الامام علي بالخبر فارسل اليه اعين بن خزيمة التميمي
ليفرق قومه عن ابن الحضرمي فان امتنعوا قاتل بمن اطاعه من عصابه .
وكتب الى زياد يعلمه ذلك . فلما قدم اعين نزل عند زياد وجمع وجالا
ثم سار الى قومه فتبعه عدد قليل فنهض عن معه لقتال ابن الحضرمي
ومن معه فواقفهم يوماً ثم انصرف فقتله قومه غدراً .

فلما قتل اعين اراد زياد قتال بني تميم فارسلت تميم الى الازد (انا
لم نعرض لجاركم فما تريدون منا) فكرهت الازد قتالهم وقالوا (ان
عرضوا لجارنا منعناه) وكان زياد قد لجأ الى الازد فاجاروه وحجوه ،
فكتب زياد الى الامام علي يخبره بقتل اعين وما جرى ، فارسل علي
جارية بن قدامة السعدي التميمي وبعث معه خمسين رجلاً من تميم (و يروى
خمسة) وكتب الى زياد يأمره بمعونة جارية والاشارة عليه ، فلما قدم
جارية البصرة حذره زياد ما اصاب اعين فاقام جارية في الازد وقرأ
كتاب علي الى اهل البصرة يوبخهم ويتهدهم ويتوعدهم بالمسير اليهم
والايقاع بهم . ثم سار جارية الى قومه بني تميم وقرأ عليهم كتاب علي
ووعدهم فاجابه الازد وكثير من تميم فسار بمن تبعه لقتال ابن الحضرمي
فالتقيا بالقرب من قصر سنبل السعدي وكان علي خيل ابن الحضرمي

عبد الله بن حازم السلمي فاقتلوا ساعة فانهمزم ابن الحضرمي وتخصص
بقصر سنبل (١) فاحرق جارية القصر بمن فيه فهلك ابن الحضرمي وسبعون
رجلا معه وعاد زياد الى القصر ورجع الى عمله بعد ان تغلب عليه ابن
الحضرمي واضطره الى الاتجاء بالازد هربا منه (٢) وعلى اثر ذلك عاد
الى البصرة عبد الله بن العباس .

فلما كانت سنة ٤٠ هـ وشي ابو الاسود الدؤلي على عبد الله بن عباس
فارسل الامام علي الى عبد الله يعاتبه ويحاسبه في الخراج وكتب الى
ابي الاسود يأمره بمراقبة امور البصرة ، فاغتاظ ابن عباس وكتب الى
الامام علي (ابعث الى عمالك من احببت فاني ظاعن عنه والسلام)
واستدعى اخواله من بني هلال بن عامر فاجتمعت معه قيس كلها فسار
من البصرة الى مسكة ، فضيع الامام علي زعيماً كبيراً يتبعه عدد كبير
كما ضيع امثاله بتدقيقه الشديد في محاسبتهم والمبالغة في المحافظة على الدين
في الوقت الذي طمع فيه العمال في الاحكام وفسدت نياتهم واتخذ
بعض اعدائه قتل عثمان ذريعة للوصول الى عرش الخلافة ومنهم معاوية

(١) قصر سنبل كان مخفراً للفرس فلما فتح المسلمون العراق صار ما كان لهم ثم صار
لسنبل السعدي فمرف به وكان حوله خندق وكان بالقرب من البصرة .
(٢) ويروى ان ابن الحضرمي لم يتمكن من دخول البصرة فبقى حولها يشن الغارات
وقيل انه تغلب عليها وهرب منه زياد ولجأ الى الازد فاجاروه حتى ثاب الناس واجتمعوا
فطارده ابن الحضرمي واقام على عمله حتى عاد ابن العباس .

الذي ابتاع الاحزاب بالمال واجتذب كبار الرجال بالدهاء .

ولما استقال عبد الله بن عباس من امارة البصرة ولى الامام علي عليها جران بن ابان فبقى على عمله الى ان قتل الامام في الكوفة في ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ (٦٦١) م وتولى الخلافة ابنه الحسن . فلما سلم الحسن لمعاوية الامر وتنازل له عن الخلافة في ربيع الاول سنة ٤١ هـ (٦٦١) م بعد ان حكم ستة اشهر عصى جران بالبصرة (١)

البصرة في عهد الامويين

لما استقل معاوية بن ابي سفيان بالخلافة وتم له الامر سنة ٤١ هـ ووجه الولاة الى الامصار وكان جران بن ابان قد تغلب على البصرة بعث معاوية بسر بن ارطاة بجيش فانزع بسر البصرة من جران وتولى امارتها ستة اشهر ثم عزله معاوية في اواخر هذه السنة (سنة ٤١ هـ) وولى على البصرة عتبة بن ابي سفيان وضم اليه خراسان وسجستان ثم عزله في سنة (٤٣) هـ وارسل بدله عبد الله بن عامر بن كريز (الذي كان اميرها في ايام عثمان وضم اليه خراسان . وكان ابن عامر هذا كثير الحلم لينا فطمع به اهل البصرة واستخفوا بالحكومة وخالفوا اوامرهم فمزله معاوية في سنة (٤٤) هـ (٦٦٤) م وبعث مكانه الحرث بن عبد الله الازدي (ويروى الحارث وهو من اهل الشام) . فلما وصل الحرث الى البصرة ولى على شرطتها (١) ويروى انه وثب على البصرة وتغلب عليها في اثناء تنازل الحسن لمعاوية .

عبد الله بن عمرو الثقفي واجتهد الحث في اصلاح الامور فمعجز وكثر
 النهب والسلب والقتل وامتنع ا كثر الناس عن تسليم الخراج واستخفوا
 يرجال الحكومة فلم يبق لها غير الاسم فعزله معاوية بعد اربعة اشهر وولى
 اماره البصرة زياد بن ابيه وذلك في سنة ٤٥ هـ (١)

امارة زياد على البصرة

زياد ابن ابيه او ابن سمية هو احد دهاة العرب وساستها وخطباؤها
 وقادتها استكتبه ابو موسى الاشعري يوم كان اميراً على البصرة في عهد
 عمر بن الخطاب ثم استخلفه عبد الله بن عباس على البصرة مدة في
 ايام الامام علي . فلما اضطربت فارس ولاء الامام علي عليها فتمكن
 بدهاؤه من ايقاع الشقاق بين الثائرين وما زال يضرب بعضهم ببعض
 حتى سكنت الفتن وزال الاضطراب وبقي على عمله حتى قتل الامام
 علي وتولى الحسن وزياد على فارس فلما تناول الحسن لمعاوية عن
 الخلافة بعث معاوية الى زياد يطالبه في المال فكتب اليه (صرفت
 بعضه في وجهه واستودعت بعضه للحاجة اليه وحملت ما فضل الى امير
 المؤمنين رحمه الله) فكتب اليه معاوية بالقدوم لينظر في ذلك فامتنع
 زياد . فلما ولى معاوية بسراً على البصرة امره باستقدام زياد فجمع
 (١) وروى انه ولى البصرة بعد الحارث سمرة بن جندب ثم عزله وولى مكانه عبد الله
 بن عمر بن حنبلان ثم عزله وولى زياداً في سنة ٤٥ هـ ولكن ذلك غير صحيح .

بسر اولاد زياد في البصرة وحبسهم وهم عبد الرحمن وعبد الله وعبيد ،
وكتب الى زياد يقول (لتقدم من اولاً قتلان بنيك) فامتنع زياد واعتزم
بسر على قتلهم ، فسار ابو بكر (هو اخو زياد لأمه) الى معاوية فلما
قدم عليه قال (ان الناس لم يبايعوك على قتل الاطفال وان بسراً يريد
قتل بني زياد) فكتب معاوية الى بسر يأمره بالافراج عنهم فاطلق
سراحهم .

وخاف معاوية من زياد فصالحه واستقدمه الى الشام واستلحقه بنسب ابيه
سفيان . ثم ولاه البصرة في سنة ٤٥ هـ (٦٦٧ م) .

ولما قدم زياد البصرة دخل مسجدها وصعد منبره فاجتمع الناس
فخطب خطبته البتراء (١)

الخطبة

اما بعد فان الجهالة الجهلاء والضلالة العمياء والنبي الموفى باهله على
النار مافيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حماؤكم ، من الامور التي يذبت فيها
الصغير ولا يتحاشى عنها الكبير كانكم لم تقرأ كتاب الله ولم تسمعوا
ما اعد الله من الثواب الكريم لاهل طاعته والعذاب الاليم لاهل معصيته
في الزمن السرمدي الذي لا يزول ، انه ليس منكم الا من طرفت عينه
الدنيا وسدت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون

() سميت البتراء لانه لم يفتحها بالحمدلة والثناء

انكم احدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا اليه، من ترككم الضعيف
يقهر والضعيفة المسلوقة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل . والجمع غير
مفترق . الم يكن منكم نهاية يمنعون الغواة عن دجل الليل وغارة النهار ،
قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العذر ، وتفضون على
النكر . كل امري منكم يرد عن سفيهة . صنع من لا يخاف عقابا . ولا
يرجو معاداً . فلم يزل بهم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم
الاسلام ثم اطرقوا ورائكم كنوساً في مكانس الريب . حرام علي الطعام
والشراب حتى اضع هذه المواخير بالارض هدماً واحراقاً . اني رأيت
آخر هذا الامر لا يصلح الا بما يصلح به اوله . لين في غير ضعف وشدة
في غير عنف . واني اقسم بالله لا آخذن الولي بالمولى . والمقيم بالظاعن
والمطيع بالعاصي . حتي يلقي الرجل اخاه فيقول (انجم سعد فقد هلك سعيد)
او تستقيم لي قناتكم .

ان كذبة الامير بلقاء مشهورة . فاذا اعلقم علي بكذبة فقد حلت
لكم معصيتي . وقد كان بيني وبين قوم احن فجعلت ذلك دبر اذني
وتحت قدمي . اني لو علمت ان احدكم قد قتل الس من بفضي لم اكشف
له قناعا . ولم اهتك له سترأ حتى يبدي لي صفحته فاذا فعل ذلك لم اناظره
فاستأنقوا امورك واعينوا علي انفسكم قرب مبتش بقدمنا سيسر . ومسرور
بقدمنا سيبتش . ايها الناس انا قد اصبحتنا لكم ساسة وعنكم ذادة

نسوسكم بسلطان الله الذي اعطانا ونذود عنكم بني الله الذي خولنا . فلنا عليكم السمع والطاعة فيما آحبينا . ولكم علينا العدل فيما وائنا . فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .

فلما فرغ من خطبته قال له عبد الله بن الادم اشهد انك اوتيت الحكمة وفصل الخطاب . فقال زياد كذبت ذلك نبي الله داود .

واستعمل زياد الشدة والعنف وجرد السيف واخذ بالظنة وعاقب على الشبهة فخافه الناس وساد الامن وهدأت الاحوال . واستعمل عند دخوله البصرة على شرطته عبد الله بن الحصين وامره ان يمنع الناس من الولوج بالليل . واستكثر من الشرطة والجند فبلغ عدد الشرطة اربعة آلاف شرطي وعدد الجند ثمانين الف في البصرة واستعان زياد في تبدير شؤون الادارة بجماعة من كبار الرجال ، منهم انس بن مالك وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب وعبد الله بن الحصين « رئيس شرطة البصرة » فساد الامن وسارت الامور على اتم نظام وزادت عمارة البصرة وكثرت خيراتها وتهافت اليها الناس من كل جانب ويروى انه ولى قضاء البصرة عمران بن الحصين فاستقال فولى مكانه عبد الله بن فضالة ثم اخاه عاصما ثم زرارة بن اوفي

ولما مات المغيرة بن شعبته أمير الكوفة في سنة ٥٠ هـ ويروى « في سنة ٤٩ هـ » ضم معاوية الكوفة الى زياد وجمع له المعمرين « البصرة

والكوفة « وهي اول مرة ضمنا معا أو اول مرة ضمت الولايتين لوال واحد ، ثم ضم اليه خراسان واطاف اليه سجستان ثم جمع له البحرين وعمان . فثبت زياد دعائم الملك لمعاوية . ومنذ ضمت اليه الكوفة في سنة ٥٠ هـ اخذ يقيم في الكوفة ستة اشهر ومثلها في البصرة ١٥ هـ واستخلف على البصرة عند مسيره الى الكوفة سمرة بن جندب فظلم سمرة اهل البصرة حتى قبل انه قتل ثمانية آلاف منهم في مدة قصيرة فبلغ ذلك زياد فانكر عليه عمله فعزله وولى مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان .

ولما مات زياد بالكوفة في رمضان في سنة ٥٣ هـ اقر معاوية على البصرة عبد الله بن عمر بن غيلان ثم عزله في سنة ٥٥ هـ وولى مكانه عبيد الله بن زياد ١٥ هـ ثم عزله في سنة ٥٩ هـ وبعد ايام قليلة اعاده اليها .

ومات معاوية في سنة ٦٠ هـ ٦٨١ م وتولى بعده ولي عهده ابنه يزيد

الاول فافر عبيد الله على البصرة .

(٢) وزيد هو اول امير سمر بين يديه الرجال بالحراب والعمد في الاسلام واول من اتخذ الحرس خمس مئة لا يفارقون مكانه . واول من جمع له العراقيين . واول من شدد أمر السلطة واول من توخى الشدة والعنف . واول من رتب المراتب في الدخول على الخليفة او الامير واول من قلد الفرس بلبس قباء الديباج . واول من اتخذ الكراسي .

(٢) ويروى ان معاوية ولى على البصرة بعد موت زياد سمرة بن جندب في سنة ٥٣ هـ ثم عزله في سنة ٥٤ هـ وجعل مكانه عبد الله بن عمر بن غيلان ففادت الفتنة بالبصرة فعزله في سنة ٥٥ هـ وولى عبد الله بن زياد قمع الفتنة واعاد الامن وكان قبل ذلك على خراسان من قبل معاوية .

كان ابن زياد مخلص النية لبي سفيان شديداً على اعدائهم بل انه كان اشد من ابيه على الخوارج حتى قيل انه قتل منهم يوم امارته على البصرة عدد أعظيماً عدا الذين قتلهم صبراً في سنة ٥٨ هـ وفيهم عروة بن أدية اخو أبي بلال مرداس بن أدية وكان سبب قتله ان ابن زياد خرج في رهات له فلما جلس ينتظر الخيل اجتمع الناس وفيهم عروة ابن أدية فقال خمس كن في الامم قبلنا فقد صرن فينا (أ تبنون بكل ريع آية تعيشون وتتخذون مصانم لعلكم تخلصون واذا بطشتم بطشتم جبارين) فلما سمع ذلك ابن زياد ظن انه لم يجترأ عليه الا ومعه جماعة من اصحابه فقام وركب وترك رهانه ، فلام الناس عروة وقالوا له والله ليقتلنك فاخفى عروة فطلبه ابن زياد ثم قبض عليه فقتله ، فخرج مرداس اخو عروة في اربمين رجلا بالاهواز واجتمع حوله جماعات فارسل اليهم ابن زياد الف مقاتل تحت قيادة ابن حصن التميمي فاندحر جيش ابن زياد .

وفي ايام اماره ابن زياد على البصرة قدم الكوفة مسلم بن عقيل داعية للحسين بن علي ، وكان على الكوفة يومئذ النعمان بن بشير فبلغ ذلك يزيد الاول فمرل النعمان عن الكوفة وضمها الى ابن زياد وكتب اليه يأمره بالقبض على مسلم وقتله او تنفيه من الكوفة ، وفي الوقت الذي

ورد فيه كتاب يزيد الى عبيد الله بن زياد وصل كتاب الحسين بن علي الى شيعته من اهل البصرة مع مولى له اسمه سلمان يقول لهم فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى مالك بن مسمع والاحنف بن قيس والمنذر ابن الجارود ومسعود بن عمرو وقيس بن الهيثم ، سلام عليكم . اما بعد اني ادعوكم الى احياء معالم الحق وامانة البدع فان تجميعوا تهتدوا سبيل الرشاد والسلام) فكتبوه جميعاً الا المنذر ابن الجارود فانه فشاها لتزويجه ابنته هند من ابن زياد فدخل عليه واحبره بالكتاب فطلب ابن زياد رسول الحسين وقبض عليه وقتله .

وعلى اثر ذلك استخلف ابن زياد على البصرة اخاه عثمان بن زياد وسار هو الى الكوفة فخرج لتشيعه جماعة من اشراف البصرة فيهم المنذر بن الجارود وشريك بن الاعور ، فوصل ابن زياد الكوفة وجري ماجرى هناك من خيانة الكوفيين وغدرهم وقتل مسلم ثم قتل الحسين بن علي في محرم سنة ٦١ هـ وسودت هذه الحادثة المؤلمة صحائف تاريخ بني امية .

وعلى اثر حادثة كربلاء ظهرت الخوارج وعظم امرها فوجه ابن زياد جيشاً لقتالهم بالاهواز فاندحرت عساكره فاغتاز حتى كان لا يدع بالبصرة احداً ممن يتهم برأي الخوارج الا قتله حتى قيل انه قتل بالهمة والظنة تسعمائة رجل من البصريين .

ولما مات يزيد الاول في سنة ٦٤ هـ (٦٨٤) م تفاقم امر الخوارج وزادوا بمن التحق بهم من البصريين وغيرهم ممث كانوا على رأيهم فاضطربت البصرة وصار اهلها فرقا واحزابا وكان ابن زياد يومئذ بالبصرة فلما بلغه نهي يزيد نادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس بالمسجد فصعد ابن زياد المنبر وقال (يا اهل البصرة ان مهاجرنا اليكم ودارنا فيكم ومولدي فيكم ولقد وليتكم وما يحصى ديوان مقاتلكم الاربعة الف الف ولقد احصى اليوم مئة الف ، وما كان يحصى ديوان عمالكم الا تسعين الف ولقد احصى اليوم مئة واربعين الف وما تركت لكم قاطبة من اخافه عليكم الا وهو في سجنكم ، وان يزيد قد توفى وقد اختلف الناس بالشام وانتم اليوم اكثر الناس عدداً وأغرضهم فناء واغنى الناس واوسعهم بلادا فاختراروا لانفسكم رجلا ترضونه لدينكم وجماعتكم فاننا اول راض من رضيتموه فان اجتمع اهل الشام على رجل ترضونه لدينكم وجماعتكم دخلتم فيما دخل فيه المسلمون وان كرهتم ذلك كنتم على احد يديكم حتى تقضوا حاجتكم فما بكم الى احد من اهل البلدان حاجة ولا يستغنى الناس عنكم) فقالوا له قد سمعنا مقالتك وما نعلم احداً اقوى عليها منك فهلم فلنبايعك ، فابي عليهم ذلك ثلاثاً ثم بسط يده فبايعوه بالامارة وانصرفوا عنه يسبحون ايديهم بحيطان المسجد وعبد الله لا يشعر بهم ويقولون ، أياظن ابن مرجانة انانقصاد له في الجماعة والفرقة .

وظن ابن زياد أنهم صدقوه وأنهم بايعوه بنية خالصة فبعث إلى أهل الكوفة من يطلب بيعتهم له فأبوا ذلك وأمروا عليهم عامر بن مسعود حتى يجتمع الناس ثم كتبوا إلى ابن الزبير بمكة يبأيعونهم بالخلافة ، فلما علم البصريون بما فعله الكوفيون خلعوا طاعة ابن زياد وسخروا منه واحتقروه (ويروى أنهم هموا بقتله) فخاف على نفسه فاستجار بالحرث بن قيس الأزدي ثم بمسعود بن عمرو سيد الأزدي فاجاراه ثم هرب بحاشيته من العراق إلى الشام بعد أن أخذ من بيت المال مليوناً وتسعمائة ألف درهم .

واجتمعت كلمة البصريين على توجيه الأمانة لعبد الله بن الحرث بن نوفل فولوه عليهم إلى أن يجتمع الناس على إمام وذلك في السنة نفسها (٦٤) هـ وهم يومئذ لا إمام لهم والخوارج قد صاروا على قلب قوسين أو أدنى منهم .

وخاف البصريون على أنفسهم من الخوارج فاجتمعوا على توجيه مسلم بن عيسى القرشي لقتالهم وجعلوا له خمسة آلاف فارس وسيره فالتقى مسلم بالخوارج فكسروا جيشه ووقع هو قتيلاً في المعركة في محل يسمى الدولاب ، فجهزوا جيشاً ثانياً (زهاء عشرة آلاف راجل) وأودعوا القيادة إلى عثمان بن معمر القرشي وسيره لقتال الخوارج فلحقهم بفارس فدارة الدائرة على جيش البصريين ووقع قائده عثمان قتيلاً .

خروج البصرة من يد الامويين

وعلى اثر ماتقدم كتب البصريون الى عبد الله بن الزبير بمكة يعلمونه ان لا امام لهم ويبايعونه بالخلافة ويدألونه ان بوجه اليهم رجلا من قبله يتولى امر البصرة (١) فوجه اليهم عمر بن عبد الله بن عمر التميمي وذلك في سنة ٦٤ هـ و كان البصريون يومئذ منقسمين الى فرق واحزاب فاضطرب امر الادارة على الامير فعزله ابن الزبير وولى مكانه الحرث بن ابي ربيعة الخزومي وذلك في سنة ٦٥ هـ (وسماه بعضهم الحارث) . ولما وصل الحرث الى البصرة جمع اهلها واستشارهم في رجل يولى به حرب الخوارج ، فطلبوا القائد المشهور المهلب بن ابي صفرة وكانت الخوارج المعروفين بالازارقة قد استولوا حينذاك على اصفهان والاهواز وما بينهما وتوجهوا نحو البصرة حتى اقتربوا منها ، و كان المهلب قد قدم من عند عبد الله بن الزبير الى البصرة وقد ولاه خراسان ، فاجتمع اشراف البصرة واميرها الحرث واحضروا المهلب وطلبوا منه ان يتولى حرب

(١) و كان عبد الله بن الزبير قد خرج على يزيد الاول بمكة بعد مقتل الحسين واجتمع عليه اهل مكة وبايعوه بالخلافة فدانت له بعض الاقطار فلما مات يزيد قوي امر ابن الزبير وبايعه اهل البصرة والكوفة ،

الخوارج فاعتذر بمعهده على خراسان أولاً ثم ابى طلبهم وانتخب من
البصريين ممن يعرف شجاعته ونجدته اثني عشر ألف مقاتل (ويروى
عشرون ألفاً) (١) وسار حتى التقى بالخوارج وصار يزيحهم مرحلة بعد
مرحلة حتى انتهوا الى منزل من الاهواز وهناك حدثت بين الفريقين
معركة هائلة كاد اهل البصرة ينهزمون لو لاثبات المهلب وقوة جأشه.
واصاب المهلب ضربة في وجهه اغمى عليه منها، فظن اصحابه قد مات
فهاجموا وهجموا هجمة المستميت فقتلوا عدداً كبيراً من الخوارج فيهم
زعيمهم نافع بن الازرق (وقيل عبيد الله بن الماحوز) وانهزم الباقيون هزيمة
منكرة الى كرمان وجانب اصفهان .

وبلغ اهل البصرة ان المهلب قد قتل فرجت المدينة باهلها وهم امير
البصرة الحرث ان يهرب ، وبينما هم في خوف واضطراب اذ اقبل رسول
المهلب يبشرهم بسلامته وبالنصر ومعه كتاب المهلب يعرفهم بالظفر وبما
حدث فاستبشروا بذلك واطمئنوا اليه واقام امير البصرة بعد ان هم
بالهرب وارسل كتاب المهلب الى ابن الزبير وذلك في سنة ٦٥ هـ وبقى المهلب
يطارد الخوارج مدة طويلة .

(١) ويروى ان امير البصرة و اشرافها كتبوا الى ابن الزبير في تسير المهلب فكتب
ن الزبير الى المهلب وهو يومئذ بالبصرة يأمره بحرب الخوارج والمهلب هذا هو الذي
ماه ابن الزبير سيد اهل العراق وهو من اكبر قواد ذلك العصر وتوفي سنة ٨٣ هـ
خراسان وكان والياً عليها .

وفي ايام اماره الحرث بن ابي ربيعة ارسل مروان بن الحكم في سنة ٦٥ هـ جيشين احدهما يقوده بن زياد الى اخضاع الجزيرة وولاه اياها على ان يسير بعد فتحها الى العراق لاختذه من ابن الزبير ، والثاني يقوده حبيش بن دجلة لقتال عامل ابن الزبير في المدينة (يثرب) فانتصر حبيش على امير المدينة فارسل امير البصرة الحرث جيشاً من البصرة تحت قيادة حنيف التميمي نجدة لامير المدينة فاندحر جيش حبيش ووقع هو قتيلاً في المعركة وعادت فلول جيشه الى الشام . اما ابن زياد فانه لما وصل الجزيرة اتاه كتاب عبد الملك بن مروان يخبره بموت ابيه مران ويستعمله على ما استعمله عليه ابوه ويحثه على المسير الى العراق ، فسار حتى اذا كان بعين الوردة قابلته عصابة كبيرة مقبلة من العراق تحت قيادة سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي (١) فتقاتلوا فقتل سليمان ومعظم جيشه واقام ابن زياد هناك يتربص الفرص للزحف على العراق .

اما عبدالله بن الزبير فانه لما بلغه ما كان من عزم عامله بالبصرة على الهرب عزله وولى البصرة عبدالله بن معمر وذلك في سنة (٦٥ هـ) وفي

() سليمان هذا نهض بالكوفة لالاخذ بشار الحسين فاجتمع حوله خاق كثير وسعوا انفسهم التوايين وهم الذين ندموا على عدم نصرتهم الحسين بن علي فقاموا للاخذ بشاره وساروا من الكوفة لقتل ابن زياد ولكنهم تمزقوا في الوقت الذي قام فيه المختار مطالبا بدم الحسين في العراق وانتقم من قاتليه .

هذه السنة حدث طاعون بالبصرة وقتك باهلهما فماتت به ام الامير
عبدالله ثم مات هو ايضاً فولى ابن الزبير على البصرة ابنه حزة وكان
ضعيف الرأي والتدبير فعجز عن ادارة الامارة واحتقره البصريون فعزله
ابوه واعاد الحارث ابن ابي ربيعة وذلك في سنة ٦٦ هـ

وفي اثناء تلك الفوضى السائدة في العراق وغيره كان قد خرج
المختارين عبيد الثقفي بالعراق مطالباً بدم الحسين بن علي فاستولى على
الكوفة في سنة ٦٦ هـ (٦٧٥) م وقاتل قاتلي الحسين وظفر بهم وقتلهم وفيهم
شمر بن ذي الجوشن وعمر بن سعد بن ابي وقاص وحفص بن عمر والمذكور
وغیره وبعث برؤسهم الى محمد بن الحنفية نجل الامام علي ثم حارب عبد الله بن
زياد فاستولى على الموصل ولم يزل يقاتل ابن زياد حتى قتله واحرق جثته
في سنة ٦٧ هـ بعد ان هزم جيوشه ، ولكنه كان غير مخلص النية لاحد
لانه من جملة الطامعين بالسيادة في اثناء تلك الفوضى فكان يدعو
الناس الى يعة محمد بن الحنفية ظاهراً وهو يريد انفسه باطنا ولم يكن
محمد راضياً بتلك الدعوة فكتب اليه يتبرأ منه فحول دعوته ابن الزبير فحدث
بينهما اختلاف فيما اتفقوا المختار من بيت المال فخلع المختار طاعة ابن الزبير
واستقل بالكوفة وكتب الى علي ابن الحسين يرغبه في الخلافة على ان يكون
هو واهل الكوفة اول مبايعيه . فلم يحبه علي الى ما طلب ، فخشي ابن الزبير استفحال
امر المختار فولى اخاه مصعباً المراقين وعهد اليه ان يقاتل المختار وان

يسمعين بالمهلب ابن ابي صفرة وان يصلح شؤون المصريين (البصرة والكوفة) وذلك في سنة ٦٧ هـ .

امارة مصعب بن الزبير على العراق

تقدم ذكر الاسباب التي دعت عبدالله بن الزبير ان يولى اخاه مصعباً امارة العراق في سنة ٦٧ هـ (٦٨٧) م خصوصاً وانه كان خاتماً من ان يحمل عهد الملك بن مروان على العراق وليس هناك من هو كفوء لملاقاة من القواد الخنكين . ولما قدم مصعب البصرة دخلها متلماً فدخل المسجد وصعد منبره فقال الناس (امير امير) فاجتمعوا وجاء الامير المعزول (الحرث) فسفر مصعب لثامه فعرفوه ، وأمر مصعب الحرث بصعود المنبر فاجلسه تحته بدرجة ، ثم قام مصعب فحمد الله واثنى عليه ثم قال :
بسم الله الرحمن الرحيم : طسم تلك آيات الكتاب المبين تتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ، الى قوله ، من المفسدين (فاشار يده نحو الشام) ، ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين (واشار نحو الحجاز) .

ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون (واشار نحو الكوفة) ثم قال : يا اهل البصرة بلغني انكم تلقبون امرائكم وقد لقبت بالجزار ،

ويروى أنه قال : يا اهل البصرة لا يقدم عليكم احد الا لقبشموه وانا القب
نقسي بالجزار — فصاروا يلقبونه بالجزار — ومكث مصعب في البصرة اياماً
ثم استقدم المهلب بن ابي صفرة ليستعين به كما امره به اخوه عبد
الله وجائه اشراف الكوفة وهو بالبصرة وطلبوا منه ان يسير لتخليص الكوفة
من المختار فجد جيشاً عظيماً قاده بنفسه ومعه اشراف البصريين وسار الى
الكوفة لقتال المختار فالتقى به وبعد عدة معارك حدثت بينهما معركة عنيفة دامت
ثلاثة ايام متواليات فانهزم المختار فحصره مصعب وقتله ونزل رجاله على حكم
مصعب و كانوا سبعة آلاف (ويروى ثمانية آلاف فقتلهم كلهم صبراً
وبعث برأس المختار الى اخيه عبد الله ابن الزبير بمكة وذلك في
سنة ٦٧ هـ وبقتل المختار ثم امر ابن الزبير في العراق وهـ دأت احوال
البصرة وغيرها . وبقى مصعب تارة يمكث في البصرة وآونة بالكوفة .

فلما كانت سنة (٧٠ هـ) ارسل عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن اسيد
الى البصرة ليشير القبائل التي حولها على ابن الزبير . فوصل خالد مستخفياً
في خاصته ونزل على عمرو بن اصمع الباهلي فبلغ ذلك صاحب شرطة
البصرة عباد بن الحصين فصار اليه يطلبه ولم يكن يومئذ مصعب بالبصرة
فانهزم خالد والتجأ بنحو خالد بن مسمع فاجاره وارسل الى قبيلتي بكر بن وائل
والازد فآتته فرسان القبيلتين واول راية وصلته راية بني يشكر ، فبلغ
ذلك ابن الحصين فاقبل في الخيل فتواقوا وبغير قتال فلما كان الغد سار

خالد بن معة الى محل يسمى الجفرة فجاءه مدد من عبد الملك بن مروان عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان . وفي الوقت نفسه ارسل مصعب الف فارس مدداً لابن الحصين فاشتبكوا في القتال وكانت الحرب سجالات بين الفريقين وبعد معارك دامت اربعة وعشرين يوماً اصطلمحوا على شرط ان يخرج خالد من العراق فخرج وعلى اثر ذلك جاء مصعب الى البصرة فاقام بها .

ولما كانت سنة ٥٧١ هـ سار مصعب بجماعة من رؤساء اهل العراق ووجوههم واشرافهم قاصداً مكة . فلما وصل دخل على اخيه عبد الله فقال (يا امير المؤمنين قد جئتك برؤساء اهل العراق واشرافهم . كل مطاع في قومه . وهم الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك وناذبوا اهل معصيتك وسارعوا في قطع عدوك ، فاعطيهم من هذا المال) فقال عبد الله (جئني بعيد اهل العراق وتأمرني ان اعطيهم من مال الله لا افعل ، وايم الله اني لو ددت ان اصرفهم كما تصرف الدنانير بالدرهم عشرة من هؤلاء برجل من اهل الشام) فقال رجل منهم (علقناك وعلقت اهل الشام) ثم انصرفوا وهم ناقون عليه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده ولا يطعمون فيما عنده ، ويروى انهم بعد ان رجعوا الى العراق اجتمعوا واجمعوا على خلع ابن الزبير فكتبوا سرّاً الى عبد الملك بن مروان ان اقبل اليانا .

رجوع البصرة الى بني امية

كان مروان بن الحكم قد مات في سنة ٦٥٥ هـ (٦٨٤ م) وتولى مكانه ابنه الداهية عبد الملك فاشتغل باخجاد الثورات التي كانت في سورية ثم ارسل في سنة ٧٠ هـ خالد بن عبد الله ليثير القبائل العراقية على ابن الزبير (كجس النبض) فلما انتهى من اشغاله في سورية في سنة ٧٢ هـ استعد لقتال عبد الله بن الزبير وكان قد بلغه ماجرى في العراق على يد المختار ثم على يد مصعب وماحدث من الفتن والثورات حتى دانت البلاد العراقية لابن الزبير، وبلغ عبد الله بن الزبير استعداد عبد الملك فكتب الى اخيه مصعب بالكوفة يأمره بالمسير الى الشام لقتال عبد الملك فاستعد مصعب للمسير وجهاز الجيوش وجعل على مقدمته ابراهيم ابن الاشتر وفي الوقت نفسه جهز عبد الملك جيشا عرمرما وسار به من الشام قاصداً العراق لمحاربة مصعب بن الزبير واستصحب معه جماعة من القواد الكبار فيهم الحجاج بن يوسف الثقفي ، فالتقى الجيشان بمسكن (١) وذلك في سنة ٧٢ هـ وكان عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافيين وصديقين متحابين فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني . اكلمك . فدنا كل واحد من صاحبه وتنحي الناس ، فسلم عبد الملك عليه وقال له (يا مصعب قد علمت ما

(١) مسكن موضع بالعراق قريب من اوانا على نهر دجيل عند دبر الجلائق .

اجرى الله بيني وبينك منذ ثلاثين سنة وما اعتدته من اخائي وصحبي ،
والله انا خير لك من عبد الله واتق من الله لدينك ودنياك فتق بذلك مني
وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذيعة هذين المصريين (البصرة والكوفة)
والامر امرك لا تعصي ولا تخالف وان شئت اتخذتك وزيراً لا تعصي)
فقال له مصعب (اما ما ذكرت في من ثقتي بك ومودتي واخائي فذلك
كما ذكرته واسكن بعد قتلك عمرو بن سعيد لا يطامان اليك وهو اقرب رحماً
منى اليك واولى بما عندك فقتلته غدراً ، والله نوقلته في ضرب وحرب
لمسك عاره ولماسلته من ائمه ، واما ما ذكرت من انك خير لي من اخي
فدع عنك ابا بكر واياك واياهم لا تعرض له واتركه ما تركك واربح عاجل
عافيته وارح الله في السلامة من عاقبته) فقال عبد الملك (لا تخوفني به
فوالله اني لا علم منه مثل ما تعلم ، ان فيه ثلاث لا يسود بها ابدأ . عجب
قد ملأته ، واستغناء برأيه وبخل التزمه .

فلما يئس عبد الملك من مصعب رجع الى مقره وكتب الى رؤساء
العراقين (البصرة والكوفة) الذين هم امراء جيش مصعب يفسدهم عليه
ويدعوهم الى نفسه ويوعدهم خيراً ان اطاعوه ويهددهم شراً ان هم عصوه
وجعل لهم اموالاً عامة وعهوداً وشروطاً . وكتب الى ابراهيم بن مالك
الاشتر النخعي قائد مقدمة مصعب يجعل له وحده مثل جميع ما جعل لاصحابه
علي ان يخلعوا عبد الله بن الزبير ، فاجابه اكثرهم وشرطوا عليه شروطاً

وسألوه الولايات لان نياتهم كانت قد فسدت على ابن الزبير حتى قيل ان اربعين زعيما منهم سألوه ولاية اصبهان ، فقال عبد الملك لمن حضره . ويحكم ما اصبهان هذه ، تعجبا ممن طلبها ، كل ذلك جرى ومصعب لا يتصور الغدر في اصحابه . فجاءه احدهم وهو ابراهيم بن الاشتر فاراه كتاب عبد الملك واكد له انه كاتب غيره ونصحه ان يستوثق منهم او يقتلهم لئلا يكونوا سببا لفشله فقال مصعب (ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من امرهم ، قال ابراهيم فاخرى ، قال . وماهي ، قال ، احبسهم في السجن حتى يتبين ذلك ، فابي مصعب ، فقال ابراهيم عليك السلام ورحمة الله وبركاته ، وكان ابراهيم هذا قد قال لمصعب قبل ذلك دعني ادعو اهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها ابداً وهي ما شرط الله ، فقال مصعب ، لا والله لا افعل . لا اكون قتلهم بالامس واستنصر بهم اليوم .

وعلى اثر ذلك اشتبكوا في القتال والتحم الجيشان فلما حي و طيس الحرب حول هؤلاء الرؤساء برؤسهم ومالوا الى عبد الملك وانظموا اليه بجموعهم . ومصعب ينظر اليهم وقد ندم على عدم سماعه النصيحة من ابراهيم ولات ساعة مندم وبقي في شردمة قليلة من المخلصين له . فلما غدر اهل العراق بمصعب وانجلت خيانتهم قال لابنه عيسى (يا بني انج بنفسك فلهن الله اهل العراق اهل الشقاق والنفاق) فقال عيسى (لا

خير في الحياة بعدك يا اباہ) وظل يقاتل مع ابيه قتالا شديداً حتي قتل
هو و ابراهيم بن الاشتر وجاعة من انصار مصعب وحمل عبيد الله بن زياد بن
ظبيان على مصعب فقال : ايها الناس ايها الامير ، فقال مصعب غدركم
يا اهل العراق ، فرفع عبيد الله سيفه ليضرب مصعباً فبدره مصعب بالسيف
على البيضة فنشب فيها فحمل يقلب السيف ولا ينتزع من البيضة فجاء
غلام لعبيد الله فضرب مصعباً بالسيف فقتله ثم حز رأسه عبيد الله
وسار به الى عبد الملك فلما رآه سجد شكراً لله وذلك في جنادي
الآخرة سنة ٧٢ هـ ودفن مصعب في محل المعركة ولم يكن لفشله سبب
غير غدر اهل المصريين (البصرة والكوفة) .

امارة خالد

وعلى اثر ما تقدم بايع اهل العراق لعبد الملك بن مروان فدخل الكوفة
باحتمال عظيم فبايعه اهلها . ولما سكن الحال ولي على البصرة خالد بن
عبد الله بن خالد بن أسيد . وبعد ان دبر عبد الملك شؤون البلاد العراقية
جهز الحجاج بن يوسف الثقفي بجيش كبير (قيل ارسل معه الف وخمسة
من اهل الشام عدا اهل العراق) وسيره لقتال عبد الله بن الزبير بمكة
فانتصر الحجاج ومات ابن الزبير قتيلاً في سنة ٧٣ هـ وانتهت الخلافة
ولم يبق امام عبد الملك من مناظره . وكانت مدة حكم ابن الزبير على البصرة

ثمانية سنوات (٦٤ — ٧٢) هـ اما امير البصرة الجديد خالد بن عبدالله فانه عزل المهلب بن ابي صفرة عن حرب الخوارج وولاه الاهواز وارسل اخاه عبدالعزیز بن عبدالله على حرب الخوارج فهزموه هزيمة منكرة ، فلما بلغ خالداً خبر الهزيمة كتب الى عبد الملك يخبره بها ، فكتب اليه يقول (اما بعد فقد قدم رسولك بكتابك تعلمني فيه بعثتك اخاك على قتال الخوارج وبهزيمة من هزم وقتل من قتل ، وسألت رسولك عن مكان المهلب فحدثني انه عامل لك على الاهواز ، فقبح الله رأيك حين تبعث اخاك اعرابياً من اهل مكة على القتال وتدع المهلب الى جنبك مجبي الخراج وهو الميمون النقية الحسن السياسة البصير بالحرب المقاسي لها ابنها وابن ابناؤها انظر ينهض بالناس حتى تستقبلهم بالاهواز ومن وراء الاهواز وقد بعثت الى بشر ان يمدك بجيش من اهل الكوفة فاذا لقيت عدوك فلا تعمل فيهم برأي حتى تحضره المهلب وتستشيره فيه انشاء الله) . فخرج خالد بجيش البصرة وجائه المدد من الكوفة (خمسة الاف مقاتل) فسار حتى وصل الاهواز ففشلت جيوشه . فلما علم بذلك عبد الملك ورآه غير ممثل لامره عزله وضم البصرة الى اخيه بشر بن مروان وذلك في سنة ٧٢ هـ وصارت له اماراة المصريين (البصرة والكوفة) . وفي ايام اماراة خالد في سنة ٧٢ هـ اجتمع الزنوج بفرات البصرة ونهبوا وسلبوا ودمروا بعض القرى المجاورة للبصرة فجمع لهم خالد جيشاً فهزمهم وقبض

على جماعة منهم فقتلهم . وعلى اثر ذلك اجتمع الزوج وأمرؤا عليهم
رباح الملقب بشير زنجي وساروا لقتال البصريين فحدثت بين الفريقين
عدة معارك انجلى عن تمزيق الزوج .

ولما ضم عبدالملك البصرة الى اخيه بشر في سنة ٧٢ هـ استخلف
على الكوفة عمرو بن حريث وسار الى البصرة فورده كتاب عبدالملك
يقول فيه (اما بعد فابعث المهلب في اهل مصره الى الازارقة (الخوارج)
وليختب من اهل مصره ووجوههم وفرسانهم واولى الفضل والتجربة منهم فانه
اعرف بهم وخله ورأيه في الحرب فاني اوثق شئ بتجربته ونصيحته
للمسلمين) . فدعا بشر المهلب وتلى عليه كتاب عبدالملك فلبى الامر
وشرعا بتجهيز الجيوش وجاءتهم نجدة من الكوفة فسار المهلب بالجيوش
حتى وصل داهم رمز وبها الخوارج وقبل الاشتباك بالحرب جاءهم نبي
بشر بن مروان من البصرة وخبر اسناد امارة البصرة الى خالد بن
عبدالله بن أسيد فرفض القتال كثير من اهل البصرة والكوفة فكتب
اليهم خالد يأمرهم بالعودة ويحذرهم المخالفة فلم يجد ذلك فيهم تفعاً وذلك
في سنة ٧٣ هـ . وفي ايام بشر كثرت الخوارج في اطراف البصرة واغاروا
على القرى وخربوا عدة منها وقتلوا ونهبوا فجهز لهم بشر فزق جيوعهم .

امارة الحجاج

دخلت سنة ٧٥ هـ الموافقة لسنة ٦٩٥ م فولى عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف الثقفي العراقي (البصرة والكوفة) (١) فوصل الحجاج الكوفة في اثني عشر راكبا على النجائب وارسل الى البصرة الحكم بن ايوب الثقفي اميراً من قبله ، وبعد ايام قليلة سار الحجاج الى البصرة فاستقبله الناس فلما وصلها دخل مسجدها وخطب خطبة تشابه خطبته بالكوفة وبعد ان هددهم وتوعدهم قال ان امير المؤمنين امرني باعطائكم وان اوجهكم لمحاربة عدوكم (يعني الخوارج) مع المهلب بن ابي صفرة ، وانى اقسام بالله لا اجد رجلاً تخلف بعد اخذه عطائه بثلاثة ايام الا ضربت عنقه) ثم نزل فوضع للناس اعطيائهم فجعلوا يأخذون ، فجاءه رجل يشكري فقال ايها الامير ان بي فتقا وقد رآه بشر بن مروان فعذرني وهذا عطائي مردود في بيت المال . فلم يقبل الحجاج عذره وقتله ، ففرع لذلك البصريون خصوصاً وانهم كانوا قد حقدوا عليه واضمروا له الشر منذ اخط لهم القول في خطبته وتهددهم ، فخرجوا حتى تداركوا على العارض بقنطرة رامهرمز وخرج الحجاج حتى نزل رستقباذ ومعه وجوه اهل البصرة وكان بينه وبين المهلب ثمانية عشر فرسخاً فقام الحجاج في الناس فقال (ان الزيادة التي

() ثم ضم اليه في سنة ٧٨ هـ ولاية خراسان وسجستان .

زادكم ابن الزبير في اعطياتكم لست اجيزها) فقام اليه عبد الله بن
الجارود العبدي وقال (انها ليست بزيادة ابن الزبير ولسكنها زيادة
امير المؤمنين عبد الملك اثبتها لنا) فكذبه الحجاج وتوعده وذلك في اوائل
شعبان سنة ٥٧٥ هـ . ثم وجه الحجاج المهلب لقتال الخوارج ووجه معه
البصريين والكوفيين وظل المهلب يطارد الخوارج مدة حتى قهرهم بعد
ان جرت له معهم حروب عديدة لانه لم يزل يكرها هنا وظل البصريون
يضمرون الشر للحجاج حتى اجتمعوا سرا فبايعوا عبد الله بن الجارود
بالامارة فخرج ابن الجارود في سنة ٥٧٧ هـ وتبعه وجوه البصرة فتجهز
الحجاج لقتالهم وبعد عدة معارك خاف اصحاب ابن الجارود من ان يمد
عبد الملك الحجاج بالجيش فانظمت اليه جماعة بعد اخرى حتى انحاز
اكثرهم الى الحجاج وظل ابن الجارود بشرذمة قليلة فانتصر الحجاج
وقتل زعم الثورة ابن الجارود وجماعة من اصحابه ودخل البصرة ظافراً .
ثم حدثت الحروب المشهورة بين الحجاج وشيب بالكوفة كان النصر في
آخرها للحجاج .

استيلاء ابن الاشعث على البصرة

ولما بعث الحجاج عبد الرحمن بن الاشعث الى سجستان لقتال
الاثارين هناك جهز عشرين الفا من البصرة ومثلهم من الكوفة وسيرهم
معه الى سجستان . فلما صالح ابن الاشعث اثارين عزل الحجاج

فالتقى ابن الاشعث مع رؤساء جيشه على الخروج على الحجاج فمادوا من سجستان فلما كانوا في فارس خلعوا عبد الملك بن مروان وبايعوا ابن الاشعث فسار بهم الى العراق قاصداً قتال الحجاج وتقيه من البلاد وبلغ ذلك الحجاج فكتب الى عبد الملك يخبره و يسأله ان يوجه اليه الجنود من الشام . فبادر عبد الملك بارسال الجنود والحجاج مقيم بالبصرة . وبعد قليل وصل ابن الاشعث العراق فالتقى جيشه بجيش الحجاج في تستر فانكسرت مقدمة الحجاج وجائته الهزيمة فرجع ونزل الزاوية وجاءت جيوش ابن الاشعث حتى نزلت البصرة فبايعه اهلها وكان دخوله فيها في آخر ذي الحجة سنة ٨١ هـ

وعلى اثر ذلك جمع الحجاج جيشه وجائته الامدادات من سورية فتقابل الجيشان بالزاوية فانكسرت جيوش ابن الاشعث فاضطر الى الخروج من البصرة فخرج منها وسار الى الكوفة . اما الحجاج فانه ولي على البصرة اميرها السابق الحكم بن ايوب الثقفي وسار هو بجيوشه في اثر ابن الاشعث وبعد حروب استمرت مدة طويلة انتصر الحجاج انتصاراً نهائياً في جادى الأحره سنة ٨٣ هـ وفر ابن الاشعث الى سجستان وهناك مات منتحراً . وفي ايامه في سنة ٨٠ هـ حدث بالبصرة طاعون قاتل به خلق كثير وفر منه عدد كبير من البصريين وتفرقوا في البلاد .

ولما مات عبد الملك بن مروان في سنة ٨٦ هـ الموافقة لسنة ٧٠٥ م

وتولى ابنه الوليد اقر الحجاج على العراق وخراسان والشرق كله وفي سنة ٨٧ هـ ولي الحجاج البصرة الجراح بن عبد الله الكمي ثم مات الحجاج في سنة ٩٥ هـ الموافقة لسنة ٧١٣ م بمدينة واسط التي بناها في سنة ٨١ هـ بعد ان حكم العراق زهاء عشرين سنة .

استيلاء ابن المهلب على البصرة

كان الحجاج لما حضرته الوفاة قد استخاف على حرب المصريين يزيد بن ابي كبشة وعلى خراجهما يزيد بن ابي مسلم وعلى الصلاة ابنه عبد الله بن الحجاج فاقرهم الوليد بن عبد الملك ، ثم ولي اماراة العراق في السنة نفسها يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وذلك في سنة ٩٥ هـ . فلما مات الوليد في سنة ٩٦ هـ (٧١٤) م وبويع لاختيه سليمان بن عبد الملك ولي العراق يزيد بن المهلب بن ابي صفرة فاقام يزيد بالبصرة فلما كانت سنة ٩٧ هـ نقله الى ولاية خراسان وولى على البصرة بدله عبد الله بن هلال الكلابي ثم عزله في سنة ٩٨ هـ وجعل مكانه سفيان بن عبد الله الكندي .

ولما مات سليمان بن عبد الملك في سنة ٩٩ هـ الموافقة لسنة ٧١٧ م وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز ولي على البصرة عدي بن ارمطة الفزاري وولى قضائها اياس بن معاوية بن قررة بن اياس بن هلال القاضي المشهور وفي السنة نفسها عزل عمر يزيد بن المهلب عن خراسان وامر بالقبض

عليه واحضاره وكان يزيد يومئذ في خراسان فاقبل منها يريد العراق
 فلما دخل البصرة قبض عليه اميرها عدي بن ارطاة فحبسه ثم وثقه وبعثه
 مخفورا الى عمر بن عبد العزيز بدمشق، فلما حضر سألته عمر عن الاموال
 التي كتب بها الى سليمان بن عبد الملك فقال يزيد (كنت من سليمان
 بالمكان الذي قد رأيت وانما كتبت الى سليمان لاسمع الناس وقد علمت
 ان سليمان لم يكن ليأخذني به) فقال عمر (لا اجد في امرك الا حبسك
 فأتق الله واد ما قبلك فانها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها) فلما لم يجد
 عمر عند يزيد عذرا مقبولا امر بحبسه بحصن حلب واستمر يزيد ابن
 المهلب في سجنه ، فلما مرض عمر بن عبد العزيز مرضه الذي مات
 فيه في سنة ١٠١ هـ (٧٢٠) م حس ان المهلب يقرب موت عمر
 فاعد للهروب عدته خوفا من يزيد بن عبد الملك لعداوة بينهما فانهزم من
 السجن قاصداً البصرة وكتب الى عمر (الى والله لو وثقت بحياتك لم اخرج
 من محبسك ولكنني خفت ان يلي الخلافة يزيد بن عبد الملك فيقتلني
 شر قتلة) فوصل كتابه وبعمر رمق فقال (اللهم ان كان يريد بالمسلمين
 سوءاً فالحقه به وهضه فقهها ضني)

ومات عمر بعد ايام قليلة وتولى مكانه يزيد بن عبد الملك بن
 مروان. فبلغ ذلك يزيد بن الملك فخلع طاعة بني مروان ولحق بالبصرة
 ودعا لنفسه فاجتمع حوله خلق وبلغ جيشه مائة وعشرين الف مقاتل

فحمل على البصرة بعد ان استولى على اطرافها وعلى فارس والاهواز، فحصد
 البصرة اميرها عدي بن اربعة ودافع عنها دفاعاً شديداً وبعد حروب
 استولى ابن المهلب على البصرة وقبض على عدي وجاعة من احبابه
 فحبسهم واستعمل الشدة فهرب جماعة من اعيان البصرة الى الشام وجاعة
 الى الكوفة وذلك في سنة ١٠١ هـ (٧٢٠ م) وقوي امر ابن المهلب فخافه
 يزيد بن عبد الملك فجهز جيشاً كبيراً من الشام بلغ عدده ثمانين الف
 مقاتل وسيره تحت قيادة اخيه مسامة بن عبد الملك وارسل معه ابن
 اخيه العباس بن الوليد وذلك في سنة ١٠٢ هـ

اما ابن المهلب فانه لما بلغه قدوم جيش ابن عبد الملك استعد
 لملاقاته وجمع اهل البصرة فخطب فيهم ودعاهم الى كتاب الله وسنة نبيه
 وحثهم على جهاد بني امية وزعم ان قتال اهل الشام اعظم ثواباً من قتال
 الترك والديلم ، فانضم اليه من البصريين عدد كبير ، فلما تهيأ للمسير
 اصطف له البصريون صفين وقد نصبوا الرايات والرماح وهم ينتظرون
 خروجه ويقولون : يدعونا الى سنة العمرين ، فاتفق ان من الحسن
 البصري سيد فقهاء اهل البصرة فرأى الرايات والرماح وصفوف البصريين
 فقال : (كان يزيد بالامس يضرب اعناق هؤلاء الذين ترون تم يسرح بها
 الى بني مروان يريد بهلاك هؤلاء القوم رضاهم فلما غضب غضبة نصب
 قصباً ثم وضع عليها خرقاتم قال اني قد خالفتهم فخالفهم فقتل هؤلاء القوم

نعم وقال اني ادعوكم الى سنة العمرين ، وان من سنة العمرين ان
يوضع قيد في رجله ثم يرد الى محبس عمر الذي فيه حبسه) و يروى ان
الحسن كان ممن حضر خطبة ابن المهلب فلما سمعها قال (والله لقد رأيتك
واليا وموليا فما يذفي لك ذلك) فقام الناس فاسكتوه خوفا من ان
يسمعه ابن المهلب .

ثم ولي ابن المهلب اخاه مروان على البصرة (وقيل استخلف على
البصرة ابنه معاوية) وخرج بجيوشه حتى اتى واسطا فاقام بها اياما ثم
سار منها حتى نزل العقروا قبل مسلمة بن عبد الملك فنزل بجيوشه على
ابن المهلب فاشتبكوا في القتال فكانت بين الفريقين حروب هائلة دامت
ثمانية ايام فلما حى وطيس الحرب تفرق اصحاب ابن المهلب وثبت معه
البصريون فاستمات ابن المهلب وهجم باصحابه الصادقين هجمات هائلة
لم يسمع بمثلها حتى قتل في يوم الجمعة ١٢ صفر سنة ١٠٢ هـ وقتل معه اخوه
خبيب بن المهلب (١) وجاعة من اصحابه المخلصين وفر من نجا ، وقتل
في هذه الحادثة ثمانية عشر الف رجل من البصريين (و يروى ثمانية
وعشرون الفا) فلما بلغ اهل البصرة خبر قتلاهم ارتجت المدينة و كثرت
فيها المآتم حتى قيل ان المآتم دامت نحو سنة .

(١) ولما بلغ آل المهلب بالبصرة خبر هذه الفاجعة قتلوا من كان في سجنهم وفيهم عدى
بن اوطاة وحملوا عيالاتهم واموالهم في السفن و ساروا الى كرمان وهناك تمزقوا

ولما انتهت فتنة ابن المهلب اسند يزيد بن عبد الملك اماره العراق وخراسان الى اخيه مسلمة ، فاستخلف هذا الامير على البصرة عبد الرحمن بن سليمان الكلبي وذلك في سنة ١٠٢ هـ ثم عزل يزيد اخاه مسلمة في سنة ١٠٣ هـ وارسل بدله عمر بن هبيرة الفزاري فاستخلف ابن هبيرة على البصرة موسى بن عبدالله . فلما مات يزيد وتولى اخوه هشام بن عبد الملك في سنة ١٠٥ هـ (٧٢٤ م) اقر ابن هبيرة على العراق ثم عزله في سنة ١٠٦ هـ وولى مكانه خالد بن عبدالله القسري فارسل خالد عقبة بن عبد الاعلى أميراً على البصرة حتى اذا كانت سنة ١٠٩ هـ عزله ووجه اماره البصرة الى ابان بن صبرة اليثربي ثم عزله في سنة ١١٠ هـ فولى مكانه بلال بن ابي بكرة « وروى ابن ابي بردة » وضم اليه قضاء البصرة وفي اول امارته في سنة ١١٠ هـ مات بالبصرة الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشاعر المشهور الفرزدق . وفي ايامه في سنة ١١٦ هـ حدث بالبصرة طاعون دام اكثر من شهر فمات به عدد كبير من البصريين ، وفي ايامه احصيت نفوس اهل البصرة بعد الطاعون فكانت ثلثمائة الف نسمة . ولما كانت سنة ١٢٠ هـ عزل هشام خالدا عن العراق وولى مكانه يوسف بن عمرو والثقفى فارسل يوسف كثير بن عبدالله السلمي أميراً على البصرة . فمات هشام في سنة ١٢٥ هـ « ٧٤٣ م » وتولى بعده الوليد بن

يزيد بن عبد الملك قتل في سنة ١٢٦ هـ وجلس مكانه يزيد بن الوليد بن عبد الملك فولى اماره العراق عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في السنة نفسها فاستخلف على البصرة المسور بن عمرو بن عباد وفي ايامه ظهرت الدعوة العباسية ودخل البصرة سرّاً دعاة بني العباس فنشروا دعوتهم فاستجاب لهم كثير من البصريين خفية لانهم كانوا قد سئموا حكم الامويين فلما مات يزيد بعد ستة اشهر بويع لابراهيم بن الوليد فخلع نفسه وباع مروان بن محمد في سنة ١٢٧ هـ « ٧٤٥ م » وفي كل هذه المدة كانت الفتن متوالية في العراق . بل ان المملكة الاسلامية كانت بعد هشام ابن عبد الملك كشعلة نار .

انقراض الدولة الاموية

من البصرة

كان مروان بن محمد قد اقر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على اماره العراق فخرج عليه الضحاك بن قيس فحدث بينه وبين عبد الله ابن عبد العزيز عدة حروب انتصر في اكثرها الضحاك ثم حل على البصرة وحاصرها ثمانية ايام حتى اضطر اميرها المسور الى تسليمها فسلمها الى الضحاك بعد ان اعطاه الامان . وذلك في سنة ١٢٨ هـ (٧٤٥ م) فبلغ ذلك مروان فعزل عبد الله بن عمر عن العراق وارسل بدله يزيد بن هبيرة وسير معه جيشا كبيراً لقتال الضحاك وغيره من الخوارج وبعد

ان قمع يزيد من بالكوفة من الخوارج سار الى البصرة وحارب من حولها من الخوارج احدى عشر يوماً فاسترد البصرة وانهمزم الضحاك فدخل يزيد البصرة ظافراً وضبط نواحيها وولى عليها شبيب بن شيبة فساد الامن فيها وذلك في سنة ١٢٩ هـ وعلى اثر ذلك ثار في العراق سليمان ابن هشام بن عبد الملك وطلب الخلافة لنفسه وانضم اليه عشرة آلاف من البصريين وبايعوه بالخلافة ثم سار بجموع لحرب مروان بالشام فلاقاه مروان فانتصر عليه وتمزقت جموع سليمان .

وفي ايام ابن هبيرة حدث بالبصرة في سنة ٢٣٠ هـ طاعون فمات به خلق كثير وعلى ذلك تولى اماراة البصرة مسلم بن قتيبة الباهلي في سنة ١٣١ هـ وفي ايامه قوي امر بني العباس وظهرت دعوتهم فكانت الضربة القاضية على بني امية .

ولما انتشرت عساكر العباسيين حصن البصرة مسلم بن قتيبة واستعد للدفاع فارسل عبدالله السفاح مؤسس الدولة العباسية جيشاً كبيراً لاختد البصرة بقيادة سفيان بن معاوية ابن يزيد بن المهلب ووجه اليه اماراة البصرة . فلما وصل سفيان طلب تسليم المدينة فابي اميرها مسلم معتمداً على ما عنده من العدد والعدد اذ كان في البصرة حينذاك جاعة من بني امية وكثير من ولاة الامويين الذين فروا من خراسان بعد تغلب قواد بني العباس عليها ، وكان فيها اربعة آلاف مقاتل جاءت نجدة اليه عدا

جيوش المدينة .

فلما رأى سفيان امتناع مسلم بأشر الحرب فاشتدت الممارك سبعة أيام متوالية فأنجلت عن انتصار جيوش بني العباس فدخل سفيان البصرة منصوراً وعلى يده انقرضت دولة بني أمية من البصرة وذلك في سنة ١٣٢ هـ وقد قتل في هذه الحادثة عدد كثير من البصريين ونكبت هذه المدينة نكبة عظيمة يوم سقوطها الذقار الرعاع فنهبوا وسلبوا وقتلوا. فنهبت أكثر الأسواق وخربت دور كثيرة. قيل بلغ عدد هاربين سبعة آلاف داراً واحصي من قتل في هذه الفتنة من أهل البصرة فكانوا إحدى عشر ألفاً .

ولما دخل القائد العباسي سفيان أعلن الأمان وأمر مناديه فاجتمع الناس في المسجد فخطب فيهم لبني العباس فبايع الناس للسفاح ثم شرع في تنظيم شؤون إمارته ثم قبض على جماعة من بني أمية الذين كانوا في البصرة فقتلهم وصلب جثثهم وكسب بالفتح وبالخبز إلى الخليفة السفاح بالكوفة

تتمة لما مر

كان الأمويون كثير يهتمون بشؤون البصرة لأهمية موقعها الجغرافي والتجاري والسياسي ولكونها وسطاً بين سورية والحجاز وفارس وبين النهرين ولذلك أنحفوها في بعض الأحيان مقراً لإمارة العراق .

ولما رأى الناس اعتنائهم الشديد بهذه المدينة نهافتوا اليها من كل الجهات حتى أصبحت في عهدهم من اعظم مدن الشرق وصارت مهذا للعلوم والفنون والآداب ومركزا للتجارة والصناعة ومجتمعاً لكبار الرجال من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء وغيرهم .

ومع وجود الفتن والاضطرابات احيانا حول المدينة واخرى في داخلها كانت عمارتها في ايامهم تزداد عامافعا ما حتى قيل بلغت مساحتها في ايام اماره خالد بن عبد الله القسري ٣٦ ميلا مربعا عدى المغارس التي بها البساتين والانهار ، وبالع بعضهم فقال بلغت انهارها التي تجري فيها الزوارق في ايام اماره بلال بن ابي بردة مائة وعشرين الفا .

وكان الولاة في عهدهم يتصرفون في الامارة ويحبون الاموال وينفقون منها على الجند وفي ما تقتضيه الحالة وعلى العمارة من اصلاح الجسور وحفر الترع وغير ذلك ثم يرسلون ما بقي الى بيت المال في مركز الامارة العامة (الكوفة) . او الى بيت المال في العاصمة (دمشق)

وكانت اماره العراق في عهدهم تسمى اماره العراقيين لاشتمالها على البصرة والكوفة . وكان كل امير يتصرف في امارته تصرف الملوك المستقلين . ومع وجود الاضطرابات في العراق فقد بلغ معدل خراج العراق في ايامهم (١٣٠٠٠٠٠٠٠٠٠) درهم سنويا

البصرة في عهد العباسيين

قامت دولة بني العباس في ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ واتخذ السفاح مدينة الكوفة مقراً له فبعث في السنة نفسها عساكره لاختد البصرة من الامويين فانسلخت منهم على يد القائد سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب كما تقدم ذكره وكان السفاح قد اسند اماره البصرة الى سفيان المذكور وهو اول عامل لبني العباس على البصرة ثم عزله (١) في سنة ١٣٣ هـ وولى عليها عمه سليمان بن علي وضم اليه السواد ودجلة والبحرين وعمان فزهت البصرة في ايامه وعمر ماخرب منها في الفتن الماضية .

فلما مات السفاح بالهاشمية في سنة ١٣٦ هـ وتولى اخوه ابو جعفر المنصور أقر عمه سليمان بن علي على البصرة وليكنه عزله في سنة ١٣٩ هـ وولى عليها سفيان بن معاوية (مرة ثانية) وامره بقتل عمه عبد الله بن علي الذي كان قد التجأ باخيه سليمان بن علي يوم امارته على البصرة على اثر خروجه على الخليفة ، وامره بقتل حاشيته وكل من انحاز له من البصريين ففتك سفيان بمجموعة كبيرة من البصريين لتحزبهم الى عبد الله .

(١) ويرى ان السفاح عزل سفيان هذا في اواخر سنة ١٣٢ هـ وولى البصرة سفيان بن عينة المهلي .

وسفيان هذا هو الذي قتل عبد الله ابن المقفع بالبصرة في سنة ١٤٢ هـ بسبب ما اتهم به من الزندقة والكيد للاسلام بترجمته كتب الزنادقة. وفي ايامه حفر في سنة ١٤٠ هـ ابو الخصيب مرزوق مولى ابي جعفر المنصور نهراً في جنوبي البصرة فسمي باسمه (نهر ابي الخصيب وهو المعروف بهذا الاسم حتى اليوم) وغرس عليه نخيلاً واشجاراً وبني على صدره قصرًا فخماً .

وفي ايامه ثار عيينة بن موسى بن كعب في البصرة في سنة ١٤٢ هـ وخرج علي الخليفة فقدم الخليفة الى البصرة بجيش كثيف فقمع تلك الفتنة ثم امر ببناء جسر من القوارب والخشب في البصرة وعمر ما كان قد خرب من المدينة وامن السيل ورجع الى مقره .

فتنة ابراهيم بن عبد الله

واستيلائه على البصرة

فلما كانت سنة ١٤٥ هـ قدم البصرة من الحجاز ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الامام علي بثلاثين الف مقاتل فدخل البصرة وبايعه اهلها ثم ارسل من استولى على الاهواز واسط و كان اخوه محمد بن عبد الله قد خرج بالمدينة (يثرب) على ابي جعفر المنصور فبايعه اهلها بالخلافة ولقبوه بالمهدي وبالنفس الزكية فلما كثرت اتباعه وقوي امره

ارسل اخاه ابراهيم هذا لقتال ابي جعفر المنصور في العراق ومحو الدولة
العباسية معتمداً على ميل اكثر العراقيين واهل فارس ابني علي وفاته انهم لم
يخلصوا النية لاحد في الجاهلية ولا في الاسلام وانهم هم الذين غدروا باسلافه.

فلما بلغ ذلك ابا جعفر المنصور داهية بني العباس وزعيمهم استعد
لملاقاته ، وكان قد ارسل قبل قدوم ابراهيم ابن أخيه عيسى بن موسى
بجيش كثيف الى الحجاز لقتال محمد بن عبد الله فقاتله وقتل انصاره وفي الاخير
قتله وقل جوعه وفتك بكثير من العلويين ثم عاد الى العراق فأمره بقتال
ابراهيم و كان ابراهيم قد وصله نعي اخيه وما حل بأمره فحمل على الكوفة
فلاقاه عيسى فتمكن بهارته الحرية وحسن سياسته وتديبره من تمزيق
جيش ابراهيم وقتله ، وقد قتل في هذه الحرب عدد كثير من البصريين
الذين انضموا الى ابراهيم قبل كان عددهم عشرين الفا .

فلما انتهى ابو جعفر المنصور من فتنة ابراهيم بالبصرة ولى عليها في
اواخر سنة ١٤٥ هـ مسلم بن قتيبة الباهلي ثم أمره في سنة ١٤٦ هـ بقتل
انصار ابراهيم من البصريين وتخريب دورهم ومصادرة اموالهم فخشى
مسلم عاقبة ذلك الفتك لما في هؤلاء من كبار الرجال من اهل النجدة
والشرف فتوقف في أمرهم فمزله المنصور وولى عليها محمد بن سليمان
بن علي العباسي .

ولما قدم البصرة محمد بن سليمان قبض على خمس وخمسين رجلاً

من وجهاء البصرة واشرافها فصلبهم ثم قبض على خمسة رجل من
البصريين وارسلهم الى الخليفة ابي جعفر المنصور مكبلين في الحديد وصادر
اموال الجميع وهدم دورهم وخرب بساكنهم (ويروى انه هدم ثلاثة آلاف
دار ، واطلف نحو عشرين الف من النخيل) وكان عمله هذا من
النكبات العظيمة التي نزلت بالبصريين . وذلك في سنة ١٤٦ هـ

الاضطرابات في البصرة

وتولى اماره البصرة بعد مسلم بن قتيبة محمد بن عبد الله السفاح
في سنة ١٤٧ هـ ولكنه استقال بعد ثلاثة اشهر فوجهت اماره البصرة في
السنة نفسها الى نجيبة ابن سالم ثم عزل في سنة ١٥٠ هـ وتولى مكانه عقبة
بن مسلم .

ولم تكن البصرة خالية من الاضطرابات منذ فتنة ابراهيم بن عبد
الله ومع ذلك فانها كانت زاهرة زاهية بالعلماء الاعلام وازدهت برجال
العلم والادب ووصلت قيتها العلوم العربية واللغة والآداب الى اوجها .
وبقي عقبة بن مسلم اميراً على البصرة الى سنة ١٥٢ هـ فحدث ثورة
بالبحرين فاودع الخليفة اليه اخباها فصار من البصرة ووجهت امارتها
الى جابر بن توبة ثم عزل بعد قليل وتولى مكانه يزيد بن منصور وفي

ايام هذا الامير في سنة ١٥٣ هـ قدم الخليفة ابو جعفر المنصور من مكة الى البصرة بعد الحج ونزل في الجسر الكبير بالبصرة واقام بضعة ايام يتفقد احوالها ثم سار الى بغداد وبعد مسيره بقليل ولي البصرة عبد الملك بن ظبيان النميري في سنة ١٥٤ هـ (١) وكان هذا ضعيف التدبير فاستخف به اهل البصرة وكثرت فيها اللصوص وفقد الامن فعزله الخليفة في سنة ١٥٥ هـ وأمر على البصرة الهيثم بن معاوية العتكي و كان من الولاة القديرين فاعاد الامن الى نصابه وسار سيرة حسنة في الاهاليين. وفي ايامه زار البصرة الخليفة ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٥ هـ واقام بها اربعين يوماً وبني فيها قصراً فخماً ثم عاد الى بغداد وكتب الى الهيثم يأمره ببناء سور على البصرة فيناه في السنة نفسها (١٥٥). وعلى اثر ذلك ظفر الهيثم في سنة ١٥٦ هـ بمرو بن شداد الذي كان عاملاً لابراهيم بن عبد الله على فارس فقتله بالبصرة ثم صلب جثته. وفي ايام هذا الامير توفي بالبصرة قاضيها سوار بن عبد الله في سنة ١٥٧ هـ .

ولما مات الخليفة ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٨ هـ وتولي الامر ابنه محمد المهدي اقر على البصرة الهيثم بن معاوية ثم عزله في سنة ١٦٠ هـ وارسل بدله محمد بن سليمان العياشي وضم اليه كور دجلة والبحرين .

(١) ويرى انه ولي عتبة بن مسلم في سنة ١٥٤ هـ ثم عبد الملك .

فزهت البصرة في ايامه وزادت عمارتها وامتدت ابنياتها وكثرت خيراتها
 وازدحت بالناس حتى ضاق مسجدها المشهور بالمصلين لكثرتهم حتى
 قبل بلغ عدد المصلين يوم ذلك عشرين الف رجل واضطر الامير ان
 يستأذن من الخليفة بتوسيع المسجد فاذن له في سنة ١٦٠ هـ فوسعه
 وبلغت النفقة على توسيعه مائة الف درهم صرفت بأذن من الخليفة
 من بيت مال البصرة .

وظل محمد بن سليمان اميراً على البصرة الى سنة ١٦٦ هـ فعزله الخليفة
 محمد المهدي وولى عليها روح بن حاتم، وفي ايام هذا الامير في سنة ١٦٧ هـ
 ثارت القبائل القاطنة بين البصرة والبحرين وخرجوا على الحكومة ثم
 هجموا على نواحي البصرة ونهبوا وخرّبوا وقتلوا فجهز الامير لقتالهم جيشاً
 فاندحر جيشه فاضطر الى طلب النجدة من بغداد فامده الخليفة بجيش
 كبير فتمكن من قمع تلك الثورة وعادت الامور الى مجاريها .

البصرة في عهد الرشيد

توفي الخليفة محمد المهدي في سنة ١٦٩ هـ وبويع لابنه موسى الهادي
 فعزل روحاً عن البصرة وولاهها محمد بن سليمان (المرة الثانية) فبقى محمد
 على البصرة حتى مات موسى الهادي في سنة ١٧٠ هـ وتولى الخلافة اخوه
 هرون الرشيد فاقره على البصرة وظل تلميها الى ان مات بها في سنة ١٧٣ هـ

فولى هرون الرشيد مكانه سليمان بن جعفر ثم عزله بعد ستة اشهر وارسل
بدله عيسى بن جعفر ثم عزله في سنة ١٧٤ هـ وولى عليها عبد الصمد
بن علي العباسي ثم ولى عليها في سنة ١٧٧ هـ مالك بن علي الخزاعي.

ولم يحدث بالبصرة منذ تولى الخلافة الهادي الى هذه السنة (١٧٧)
ما يكدر جو السياسة او ما يخل بالادارة والامن بل كانت هذه المدينة
تزداد عمارتها يوماً فيوماً وتكثر خيراتها شهراً فشهرًا وازدجت بالعلماء
الاعلام حتى وصلت الى ارق درجات الكمال خصوصاً في ايام هرون الرشيد
فالها صارت من اكبر مدن الاسلام ومركزاً للعلماء العظام ومهداً للعلوم
والفنون والآداب وقد زارها هذا الخليفة في سنة ١٨٠ هـ وبقي فيها
بضعة ايام يتفقد شؤونها وينشط علمائها على سعيهم المتواصل ثم عاد الى
بغداد فولى عليها في سنة ١٨١ هـ اسحق بن سليمان ثم انتقلت امارة هذه
المدينة في عهده من اسحق بن سليمان الى سليمان بن ابي جعفر في سنة
١٨٤ هـ ثم الى عيسى بن جعفر في سنة ١٨٥ هـ ثم الى الحسن بن جيل
في سنة ١٨٧ هـ ثم الى عيسى بن جعفر في سنة ١٨٩ هـ ثم الى
جرير بن يزيد في سنة ١٩٠ هـ ثم (بعد ستة اشهر) الى عبد الصمد بن علي
العباسي (ثانية) ثم الى اسحق بن عيسى بن علي في سنة ١٩٣ هـ

ولم يحدث في ايام هرون الرشيد في البصرة ما يخل بالسياسة او
الادارة بل كانت زاهية بفحول العلماء الذين انتهت اليهم رئاسة اكثر

العلوم العقلية والنقلية وزادت عمارتها وكثرت ثروتها وعظم شأنها وراجت فيها العلوم والآداب والفنون .

ولما توفي الخليفة هرون الرشيد في سنة ١٩٣ هـ وتولى ولي عهده ابنه محمد الامين أقر اسحق بن عيسى على البصرة فخرج في السنة نفسها في اطراف البصرة ردان الحروري وثار على الحكومة بجوعه فانخذل وتمزقت جوعه .

وبقيت البصرة بعد هذه الحادثة في زهو واطمئنان الى سنة ١٩٥ هـ فارسل الخليفة محمد الامين اميراً عليها المنصور بن المهدي العباسي وفي ايامه حدثت فتنة الامين والمأمون واستولت جيوش المأمون على الاهواز والكوفة واسط فاضطربت البصرة وعزم اهلها على تحصينها وقتال جيش المأمون اذا اقترب منها انتصاراً للامين فابي اميرهم المنصور ذلك حقناً للدماء فاعلن خلع الامين وبيعة المأمون وخطب له على منبر البصرة ، فبلغ ذلك المأمون فاقره على امارته . ولكنه وجه في سنة ١٩٦ هـ اماره العراق الى الحسن بن سهل وضم اليه فارس والبحرين فولى ابن سهل على البصرة العباس بن محمد الجعفري وكانت بغداد يومئذ قد حاصرها طاهر بن الحسين قائد المأمون ولم يبق للامين غيرها .

البصرة في عهد المأمون

ولما تم امر الخلافة للمأمون بعد مقتل الامين في سنة ١٩٨ هـ بقيت
البصرة من اعمال الحسن بن سهل وظل عليها العباس بن محمد الجعفري
الى سنة ٢٠٠ هـ وكان قد خرج في هذه السنة ابو السرايا الطالبي وجمع
جوعاً كثيرة واستولى على الاهواز وواسط والكوفة ثم سار بمجموعه الى
البصرة والقي عليها الحصار فدافع عنها اميرها العباس بن معه من الجنود
الاهلية وبعد حروب شديدة انتصر ابو السرايا في السنة نفسها ودخل البصرة
وبقيت هذه المدينة في قبضة الطالبيين الى سنة ٢٠٤ هـ فارسل الخليفة
المأمون جيشاً كبيراً يقوده اخوه صالح بن هرون الرشيد لاسترداد البصرة
فجرت بين الفريقين معارك عنيفة دامت نحو شهر فانجلت عن انتصار
جيوش المأمون ودخول صالح البصرة ظافراً في السنة نفسها .

ومكث صالح على اماره البصرة الى سنة ٢٠٦ هـ فولى المأمون عليها
داود بن مسعود وضم اليه البحرين واليمامة . وفي ايام هذا الامير ظهر
الزط في طريق البصرة ونهبوا بعض القرى (١) فقاتلهم داود حتى اعاد
الامن الى نصابه وبقي على امارته الى سنة ٢١٥ هـ

وفي ايامه في سنة ٢١٠ هـ أمر الخليفة المأمون باحصاء من في البصرة

(١) الزط قوم من ادلاط الناس اجتمعوا على النهب والسلب والفساد .

من العلماء والتلاميذ فبلغ عدد العلماء سبعمائة وعدد تلامذتهم احدى عشر
 ألفاً فلما وقف المأمون على هذا الاحصاء سرسروا عظيماً واحب ان
 ينشط المحتاجين منهم فأمر بتخصيص رواتب لهم وأمر بارسال نسخ
 من مؤلفات اولئك العلماء فجمعوا له ما القوه من الكتب العلمية المختلفة
 في مدة عشرين سنة فكانت على ما ذكره بعض المؤرخين اكثر من
 مئتي الف مؤلف بين صغير وكبير ارسلت الى المأمون في ثلاثة سفن
 فلما وصلت بغداد ضمها المأمون الى مكتبته .

وتولى البصرة بعد داود محمد بن عباد المهلبى في سنة ٢١٦ هـ فمات
 في السنة نفسها فولى المأمون بدله عجيف بن عتبة . ولما توفي المأمون في
 سنة ٢١٨ هـ وتولى الخلافة اخوه المعتصم بالله اقر عجيفاً على امارته . فظهر
 الزط مرة اخرى في ايامه في سنة ٢١٩ هـ وغلبوا على طريق البصرة ونهبوا
 بعض القرى المجاورة للبصرة واحرقوا بعضها واخذوا الغلات من البيادر
 بكسر وما يليها من البصرة فامر الخليفة عجيفاً بقتالهم فخرج اليهم بجيشه
 فانتصر عليهم وقتل منهم نحو الخمسائة حتى اضطر الباقون الى طلب
 الامان والعفو فأمنهم عجيف على شرط ان لا يعودوا الى الفساد وذلك
 في سنة ٢٢٠ هـ .

ودامت اماره عجيف على البصرة الى ان توفي المعتصم في سنة
 ٢٢٧ هـ وتولى الخلافة ابنه الواثق بالله فأقر عجيفاً على عمله ثم مات الواثق

في سنة ٢٣٢ هـ وتولى الخلافة اخوه المتوكل على الله فمررت عجباً وولى على البصرة عمير ابن عمار في السنة نفسها . ولم يحدث في البصرة بعد حادثه الزط ما يخل بالامن .

الفتن في البصرة

بقي عمير بن عمار على اماره البصرة الى سنة ٢٣٩ هـ فتولى امارتها محمد بن رجا . وفي ايامه فسدت احوال البصرة واختلفت كلمة اهلها وقامت بينهم الفتن وانقسموا الى فرقتين (البلاية والسعدية) وآلت تلك الفتن الى القتال داخل المدينة ثم ثاروا على اميرهم محمد بن رجا وطرده واخرجوا المسجونين ونهبوا بيت المال وبيوت بعض المثرين وظلت البصرة فوضى ودامت الفتن والمعارك بين اهلها الى ان قتل الخليفة المتوكل في سامرا في سنة ٢٤٧ هـ وتولى بعده ابنه المنتصر بالله ثم مات في سنة ٢٤٨ هـ وتولى الخلافة المستعين بالله ثم خلع في سنة ٢٥٢ هـ وبويع المعتز ومضت على خلافته سنة واحدة والفوضى ضاربة اطنا بها بالبصرة وقد تولى امارتها في هذه المدة جماعة من الولاة فلم يتمكنوا من اصلاح الحال ولا استقام احد منهم شهوراً بل كان بعضهم يستقيل وبعضهم يعزل ومنهم من يطرد ومنهم من يقتل ثم سكنت تلك الفتن في سنة ٢٥٣ هـ

استيلاء الزنوج على البصرة

لم يكد البصريون يستريحون من تلك الفتن التي طحنهم وجلبت عليهم ضروب النوائب حتى ظهر في سنة ٢٥٤ هـ رجل ادعى الغيب وزعم انه علي بن محمد بن احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن الامام علي وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ فالتف حوله منهم نحو الالفين فقوي بهم وعاث في بادية البصرة فساداً ثم قصد البصرة فاضطر البصريون الى قتاله فحدثت بين الفريقين عدة معارك حتى تمكن البصريون من صده بعد ان قتل منهم اكثر من الف رجل .

ولما انسحب صاحب الزنج عن البصرة نهب اكثر القرى واحرق بعضها وكان قد تولى الخلافة المهدي في سنة ٢٥٥ هـ وبلغته اعمال صاحب الزنج فارسل في السنة نفسها اميراً على البصرة الاحوص الباهلي وسير معه جيشاً كبيراً بقيادة جملان التركي لقتال الزنوج فحدثت بين الطرفين حروب عديدة فاز في آخرها صاحب الزنج واضطر القائد جملان الى تحصين البصرة والدفاع عنها والالف البصريون جيشاً منهم فكان فرقتين (السعدية والهلالية) وعلى اثر ذلك هجم الزنوج على البصرة في سنة ٢٥٦ هـ في الوقت الذي تولى فيه الخلافة المعتمد على الله فخرت بين الزنوج وبين

البصريين بحروب عنيفة دامت احد عشر يوماً انتهت باندحار الزنوج (١) فعادوا عن البصرة ولكنهم نهبوا قراها واحرقوا بعضها وقتلوا سكان ابي الخصب اربعة ايام حتى استولوا على قريتهم واحرقوا دورها ونهبوا ما فيها واعملوا السيف في اهلها ، وقد قتل في هذه الحادثة اكثر من خمسة آلاف رجل من البصريين ثم حمل الزنوج على الابله فقاتلهم اهلها فأنخذلوا واستولى الزنوج على المدينة ثم انسحبوا منها .

فلما كانت سنة ٢٥٧هـ ارسل الخليفة المعتمد على الله جيشاً كبيراً بقيادة سعيد بن صالح الحاجب لقتال الزنوج فالتقى بهم سعيد فانتصر عليهم وقتل بهم ولكنهم لموا شعثهم وهجموا عليه هجمة المستميت فانهزمت عساكره بمدان قتل منهم عدد كبير واضطر القائد سعيد الى الهرب فقتل فاستولى الزنوج على معسكره . فبلغ ذلك الخليفة فولى في اواخر هذه السنة على البصرة منصور بن جعفر الخياط وارسله بجيش كبير فحدثت بينه وبين الزنوج معركة هائلة في محل يبعد عن البصرة ثلاث ساعات فأنجبت عن انتصار الزنوج فانغرقوا سفن الخليفة واتلفوا من فيها من الجنود والاموال . ووقع الفائد منصور قتيلا .

وعلى اثر اندحار جيش القائد منصور وقتله استولى الزنوج على الاهواز والابله وعبادان وواسط وقوي امرهم واشتدت شوكتهم فعادوا الكرة

(١) يروي ان البصريين اندسروا فتعضوا بالمدينة

على البصرة فاجتمع البصريون والقوا منهم جيشا بلغ عدده عشرون ألف مقاتل وخرجوا للدفاع فدامت الحرب بينهم وبين الزنوج ثمانية ايام بلياليها و كانت حرب دموية هائلة اسفرت عن انكسار البصريين فاستولى الزنوج على البصرة بعد ان قتل من البصريين عدد كبير وذلك في اواخر سنة ٢٥٧ هـ

ولما دخل الزنوج البصرة انهزم منها عدد كثير من البصريين واختفى الناس في دورهم فنهب الزنوج المدينة واحرقوا اكثر دورها ودام النهب والسلب والقتل والتخريب والتدمير ثلاثة ايام ثم اعلن قائدهم الامان ونادى مناديه باجتماع الناس في المسجد لاستماع الاوامر فاجتمعوا (و كانوا على ما قبل نحو مائة الف نسمة) فأمر بقتلهم وباحراق المسجد وهدمه فاعمل اصحابه السيف في البصريين فلم ينج منهم الا من فر . وبلغ الخليفة المتمدن خبر سقوط البصرة بيد الزنوج واستفحال امرهم فجهز جيشا كبيرا وسيره بقيادة احمد المولد (ويروى محمد) فاندحر احمد واضطر الخليفة الى تجهيز جيش آخر في سنة ٢٥٨ وارسله بقيادة مفلح قاصاب مفلح سهم فقتله فانهزم جيشه فارسل الخليفة اخاه ابا احمد طلحة الملقب بالموفق بالله وسيره بجيش كثيف وكتب الى بغداد وغيرها من المدن العراقية يأمر الولاة بجمع الجيوش وارسالها مددا للموفق .

فسار الموفق حتى وصل نهر ممقل (بالقرب من البصرة) والتقى
بالزنوج هناك فجرت يدينه وبينهم حروب عنيفة اندحر في آخرها الزنوج
ووقع كثير منهم في الاسر وفيهم قائدهم يحيى بن محمد البحراني فانه وقع
اسيراً في قبضة الموفق فارسله الى بغداد ومنها ارسل الى سامرا فامر
الخليفة بقتله .

و كانت البصرة حينذاك قد فتى فيها الطاعون وسرى منها الى
واسط وذيخرا فعماد الموفق الى سامرا به هذا الانتصار وتفرقت اكثر جنوده .
فارسل الخليفة في سنة ٢٥٩ هـ اسحق بن كنداج فقاتل الزنوج فدحرهم
عدة مرات وامكنه لم يتمكن من الانتصار عليهم انتصاراً نهائياً فارسل
الخليفة قائده موسى بن بغا التركي بجيش كبير فانتصر موسى على
الزنوج وقتل منهم عدداً كبيراً فبلغ انتصاره البصريين فثاروا على من
عندهم من الزنوج فطردوهم وتلاهم اهل ابي الخصيب فثاروا على الزنوج
ومنعوا ارسال الذخائر اليهم فضاق الحال بالزنوج .

ولما كانت سنة ٢٦٠ هـ استقال القائد موسى بن بغا من ولاية البصرة
وتياد الجيوش فارسل الخليفة بدله مسرور البلخي واودع اليه قتال
الزنوج فالتقى بهم وحدثت بينه وبينهم معركة فعماد الى بغداد بسبب
حدوث فتنة فيها .

دخلت سنة ٢٦١ هـ فجهز الخليفة جيشاً جديداً وسيره بقيادة اخيه

الموفق (مرة ثانية) الى البصرة لقتال الزوج وصير معه ابنه ابا العباس
فسار الموفق بجيش جرار قيل كان عدده خمسين الف مقاتل حتى وصل
بالقرب من البصرة فعمسك في الجهة الشرقية منها بالقرب من شط العرب
وبنى هناك مدينة اتخذها مقراً للحركات الحربية فسميت الموفقية نسبة
اليه . ثم جلب اليها التجار والباعة فابتنى فيها سوقاً فبنى الناس المنازل
وعمرت حتى صارت مدينة كبيرة وبقيت مركزاً لسوق الجيوش حتى
انتهى الموفق من امر الزوج كما سنذكره .

اما الزوج فابهم كانوا قد بنوا لهم مدينة كبيرة في غربي نهر ابي
الخصيب وسموها المختارة وبنوا عليها سوراً وابرأجا وخندقاً وجعلوا حمايتها
ثلاثة آلاف مقاتل وجمعوا فيها عدداً عظيماً من النساء والاطفال الذين
نهبوهم في غاراتهم على البصرة والابلة والاهواز وغيرها . واتخذوا هذه المدينة
مركزاً للحركات الحربية كما اتخذ الموفق مدينته مقراً لسوق الجيوش .

انتهاء امر الزوج

ظل الموفق يسير الجيش براً ونهراً لقتال الزوج والخليفة يمدده
بالعدد والعدد فنتصر الموفق في اكثر المواقع وكانت الجيوش البرية تحت
قيادته والجيوش النهرية بقيادة ابي العباس وظل النصر حليف الموفق
حتى اضطرت القبائل المتفقة مع الزنج الى طاب الامان والعفو وشرعت

تلك القبائل تنحاز الواحدة تلو الاخرى الى الموفق فعضف امر الزوج وقوي امر الموفق وكثرت جيوشه وتم له النصر في شهر جمادى الاخرة سنة ٢٧٠ هـ واحتل مدينتهم المختارة وقتل رؤساء تلك الفتنه واستولى على اموالهم ودورهم وقتل زعيمهم علي بن عبد الرحيم وارسل رأسه الى اخيه المعتمد وكان قتله بشرى عظيمة في العراق ثم جمع الموفق الاموال التي نهبها الزوج من البلاد وكذلك النساء والاطفال فارجع الجميع الى اصحابها فارتاح الناس والبلاد من غارات الزوج بعد ان اتعبوا الدولة خمسة عشر عاما. وكانوا مشغلة القواد والخليفة حتى خشي منهم ان يستولوا على العراق كله في الوقت الذي كانت فيه الخلافة قد ازدادت ضعفاً على ضعف واستبد القواد والولاة في الاطراف . وقد قتل في هذه الحروب عدة من القواد منهم سعيد بن صالح الحاجب وفضلح ومنصور بن جعفر الخياط وغيره وقتلهم جماعة من القواد فلم يظفروا بهم منهم احد المولد واحد بن ايشويه وموسى بن بقا ومسرور البليخي واسحق بن كنداج وغيره ولم يتصر احد من القواد عليهم انتصاراً نهائياً غير الموفق لبراءته في الاساليب الحربية وحسن سيرته وحزمه .

وكان اول ظهور صاحب الزنج هذا في احدى قرى البصرة التي هو من اهلها فادعى انه من نسل الامام علي كما تقدم وهو في الحقيقة اسمه علي بن الرحيم من ولد التيس . وزعم انه يطلع الى مساكن ضاير

اصحابه وما يفعل كل واحد منهم. ثم دعي الزنوج الذين يعملون في السباخ في نواحي البصرة والكوفة واستنهضهم فتركوا كثيرهم مواليتهم وقاموا معه فاطمئنتهم في اسيادهم ووعدهم انه يملكهم ما في ايديهم فاجتمع له خلق كثير منهم فعبر دجلة ونزل قرية تسمى الدينارية وزعم ان سحابة اظلمته ونودي منها (اقصد البصرة تملكها) فقاتل الخلافة العباسية باسم الدولة العلوية اعواماً وفعل ما فعل من قتل ونهب كما ذكرناه قبلاً . ولقد بالغ بعض المؤرخين فقال انه قتل من البصريين مائة وخمسين الفا عدا الامرى من الرجال والنساء والاطفال الذين بلغ عددهم مائتي الف امرأة وعشرين الف رجل وعشرة آلاف طفل ، وانه قتل في جميع حروبه نحو المليونين وخمسمائة الف نفس ، ونهب من الاموال ما قيمتها عشرين مليون دينار .

انحطاط البصرة وهجمات القرامطة عليها

لما انتهت فتنة الزنوج التي اتعبت الدولة العباسية اعواماً طويلاً ولى الخليفة المعتمد اماره البصرة في سنة ٢٧١هـ العباس بن تركس وأمره بتعمير ما خربته تلك الفتنة فصعد بالامر وعاد البصريون الذين انهزموا الى مدينتهم ولكن بعد الخراب كما قيل بالمثل (بعد خراب البصرة) لان هذه المدينة كانت قد خربت لتوالي الفتن والحروب واخذت منذ حادثة

الزئوج بالنقمقر والانحطاط وقل سكانها وذهب اكثر عمرائها وزالت ثروتها وخيراتها .

ولما توفي الخليفة المعتمد ببغداد في سنة ٢٧٩ هـ وتولى الخلافة المعتضد بالله ولي على البصرة احمد بن محمد بن يحيى فظهر في ايامه في سنة ٢٨٥ هـ في البحرين رجلاً يدعى ابو سعيد الجنابي وكان قد تأمر على القرامطة وجمع حوله جماعات من رعايا الناس وفتك باهل البحرين والقطيف ثم قصد البصرة في سنة ٢٨٦ هـ فكذب الى الخليفة المعتضد بالله اميرها احمد يخبره بما عزم عليه زعيم القرامطة من الهجوم على البصرة فأصره ببناء سور البصرة فبناه واتفق عليه اربعة عشر الف دينار .

وعلى اثر ذلك هجم ابو سعيد القرمطي بمجموعه على البصرة في سنة ٢٨٧ هـ فجمع اميرها احمد (١) اهلها وضمهم الى مساكره التي ارسلها اليه الخليفة وكانوا ثلاثة آلاف مقاتل فدافع عن المدينة حتى طرد القرامطة فعادوا بالفشل ولكنهم انتصروا على جيوش الخليفة بالبحرين . ثم انتشرت القرامطة في سنة ٢٨٩ هـ (في السنة التي مات بها ببغداد الخليفة المعتضد وتولى مكانه ابنه المكتفي) في اطراف الكوفة فوجه الخليفة اليهم جيشاً فانتصر جيش الخليفة وقتل منهم عدد كبير واسر زعيمهم ابا سعيد

(١) ويروي كان اميرها اذ ذاك محمد الواثق .

وجاعة من اعدائه وجي بهم الى بغداد فعذبهم الخليفة فمات ابو سعيد
 الهجري تحت العذاب وقتل قائده ابو الفوارس مع اعدائه المأسورين . وعلى
 اثر ذلك امر القرامطة عليهم ابا طاهر سليمان ابن ابي سعيد وحلوا على
 البصرة وحاصروها في السنة ثمان مائة (٢٨٩) ودامت الحروب بينهم وبين
 البصريين ثمانية عشر يوماً فانتصر البصريون وعاد القرامطة بالفشل
 والخسران .

وتوفي الخليفة المكتفي بالله في سنة ٢٩٥ هـ وتولى الخلافة بعده المقتدر
 بالله فولى على البصرة في سنة ٢٩٩ هـ محمد بن اسحق بن كنداج وفي
 اوائل ايامه زحف القرامطة على البصرة بقيادة زعيمهم ابي طاهر سليمان
 فوصلوا البصرة على حين غفلة من اهلها في يوم الجمعة والناس في الصلاة
 فدخلوا المدينة وقتلوا من صادفهم من اهلها فاسرع الامير محمد وجمع
 الجنود فقاتلهم حتى طردهم .

الفتن في البصرة

وهجوم القرامطة ايضا

لم تكد البصرة تستريح من هجمات الخوارج حتى قامت فتنة
 اهلية فيها في سنة ٣٠٥ و كانت اولا بين قائد الجيوش الحسن بن خليل

وبين امير البصرة فأنحاز الاهلون الى الامير فحقد القائد فهم عليهم
وهم في المسجد يصلون فقتل عدداً كبيراً منهم قثاروا عليه وقاتلوه فحدثت
فتنة كبيرة داخل المدينة . ولما وصل الخبر الى الخليفة ببغداد اكتفى بعزل
القائد فعزله وارسل بدله ابا دلف هاشم بن محمد الخزاعي .

وبعد تلك الفتنة اعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة بالضمان
الى الوزير حامد بن العباس في سنة ٣٠٧ هـ فطمع هذا الامير في اموال
الناس حتى ضاق الحال بالبصريين وغلّت الاسعار وتدمر الاهلون
من اميرهم فاصدر الخليفة امرأاً بنسخ ذلك الضمان .

ثم وجهت ولاية البصرة في ٣١٠ هـ الى سبك المفلكي وفي ايامه
زحف على البصرة جمع كبير من القرامطة (وقيل كانوا القأوسبمائة مقاتل)
يقودهم زعيمهم ابو طاهر سليمان فوصلوا البصرة ليلاً وكانوا قد صنعوا
سلام من الشعر ليتسلقوا بها سور البصرة فوضعوها على السور وصعدوا
اليه وفتحوا باب المدينة وقتلوا حراسها فلم يشعر امير البصرة سبك المفلكي
بهم الا في السحر فاسرع فركب اليهم بجيشه فقتلوه وفرقوا جيشه ثم
وضعوا السيف في البصريين ودامت المعارك بين الطرفين احدى عشر
يوماً داخل المدينة فعل القرامطة في خلالها انواع المنكرات من نهب
وسلب وقتل وتخريب ثم انسحبوا .

وعلي اثر هذه الحادثة ولي الخليفة المقتدر على البصرة محمد بن عبده

الله الفاروقي في سنة ٣١١ هـ فدخلها بعد انسحاب القرامطة منها بايام .
و كان قد قتل في هذه الحادثة من البصريين الف وخسمائة رجل ووقع
في الاسر منهم بيد القرامطة من النساء والاطفال عدد كثير قيل كان
الف امرأة وستائة طفل .

وفي ايام اماره محمد بن عبد الله الفاروقي في سنة ٣١٣ هـ قطع
القرامطة طريق البصرة فكتب محمد الى الخليفة يخبره بذلك فاصدر
الخليفة امراً الى ولاية المدن يأمرهم بالتأهب لقتال القرامطة . فبلغ ذلك
القرامطة فانسحبوا .

ولاية ابن رائق على البصرة

دخلت سنة ٣١٦ هـ فاعطى الخليفة المقتدر بالله ولاية البصرة
بالضمان الى محمد بن رائق فسار الى عمله وقاتل القرامطة القرييين منه
حتى ابعدهم ومكث على ولايته حتى مات الخليفة المقتدر في سنة ٣٢٠ هـ
وتولى بعده القاهر بالله ثم تولى الخلافة الراضي بالله في سنة ٣٢٢ هـ في
الوقت الذي كان فيه أمر الخلافة قد ازداد ضعفاً وتسلبت الاثراك ببغداد
على شؤون الدولة وقلت الاموال وتغلب الولاة على اطراف المملكة
واستقل بنو حمدان بالموصل وديار بكر وربيعة ومضر فاستبد ابن رائق
بالبصرة وواسط واعمالهما وامتنع عن ارسال الخراج السنوي الى دار الخلافة

واستخلف على البصرة محمد ابن يزيد واقام هو بواسط ليكون قريباً من بغداد .

استيلاء البريدي على البصرة

عندما ضاق الحال بالخليفة الراضي لقلة الاموال قلد ابن رائق امانة الاصراء ببغداد في سنة ٣٢٤ هـ فاستبد ابن رائق حتى لم يبق للخليفة غير الاسم والخطبة وعلى اثر ذلك ارسل حاكم الاهواز ابو عبد الله محمد ابن البريدي غلامه اقبالا في النبي مقاتل لاختد البصرة من ابن يزيد فساعدته البصريون ليتخلصوا من ظلم ابن يزيد الذي اساء السيرة معهم واخذ اموال من ربههم بالباطل واكثر من الضرائب حتى اضطروا الى الانتجاع بابن البريدي واستنجدوا به وبعد مناوشات انتصر اقبال ودخل البصرة ظافراً في سنة ٣٢٥ هـ وبعد قليل سار اليها ابن البريدي وكتب الى الخليفة يطلب منه توجيه البصرة اليه فاصدر الخليفة منشوره بذلك فدخلت البصرة في ضمان ابن البريدي فحفف عن اهلها الضرائب والمكوس ولكنه لما استتب امره ورسخت قدماه اضطهد الاهلين وظلمهم حتى اضطروا الى رفع الشكوى الى الخليفة واخبروه بما يقاسونه من ظلم ابن البريدي . ولما كان الخليفة يومئذ ضعيفاً لا يقدر على شئ أصدر امره بتوجيه ولاية البصرة الى القائد بحكم التركي لياخذها بالسيف فسار بحكم بمشيرة آلاف من الاتراك في سنة ٣٢٦ هـ وبعد عدة وقائع استولى بحكم

على البصرة وطرد منها ابن البريدي .

ولم تـمض اشهر قليلة حتى حدث خلاف بين بجكم وبين امير الامراء
بيغداد ابن رائق فسار بجكم بجيشه الى بغداد في سنة ٣٢٦ هـ فتغلب
على ابن رائق فقلده الخليفة اماراة الامراء . وعلى اثر ذلك وجهت اماراة
البصرة الى ابن البريدي (ثانية) في سنة ٣٢٧ هـ (ويروى في سنة ٣٢٨ م)
وضمن رسومها وضرائبها واعشارها .

ولما مات الرازي بالله طمع ابن البريدي بيغداد فسير في سنة ٣٢٩ هـ
جيشاً من البصرة لقتال بجكم فجهز له بجكم جيشاً سيره بقيادة توزون
التركي فالتقى الجيشان فاندحرج جيش بجكم اولاً ثم انتصر وفي اثناء ذلك
مات بجكم قتيلاً بطعنة غلام كردي طعنه حينما حل على الاكراد طمعاً
في اموالهم .

وفي ايام اماراة ابن البريدي على البصرة حل يوسف بن وجيه
حاكم عمان على البصرة في سنة ٣٣٢ هـ في سفن كثيرة مشحونة بالرجال
فاستولى على الابلّة ثم تقدم نحو البصرة فخرج ابن البريدي لقتاله ولكنه
لما علم بكثرة جيوش حاكم عمان عمد الى الحيلة فتظاهروا بالتقهقر خدعة
فلما جن الليل هجم بجيشه فاحرق سفن يوسف وصافح جيشه
بالسيف فقتل اكثرهم ونهب اموالهم وذخائرهم فانهزم يوسف بالفشل
والخسران . وفي السنة نفسها (٣٣٢) هـ زحف معز الدولة ابن بويه

بمسارته الى البصرة فحدث بينه وبين ابن البريدي عدة وقائع اندحر
في آخرها ابن البريدي وتحصن بالمدينة فحاصره معز الدولة اكثر من
شهر ثم ترك الحصار وعاد الى مقره .

وبقى ابن البريدي مستقلاً بامارة البصرة الى ان توفي فيها في سنة
٣٣٤ هـ فتولى مكانه ابنه ابو القاسم ابن ابي عبد الله محمد بن البريدي
فارسل اليه الخليفة منشور الامارة على جرى العادة في ذلك العهد .

استيلاء معز الدولة البويهية على البصرة

او

البصرة في عهد بني بوية

لما استولى معز الدولة احمد ابن ابي شجاع بويه على بغداد واسس
الدولة البويهية فيها في سنة ٣٣٤ هـ استأمن اليه ابو القاسم ابن البريدي
وضمن له واسط والبصرة واعمالهما وعقد له في السنة نفسها ثم حدث بينهما
خلاف في سنة ٣٣٥ هـ فامتنع ابو القاسم عن تسليم المال المقرر ارساله
الى بغداد فحزم معز الدولة جيشاً لطرده من البصرة فالتقى جيشه بجيش
ابن البريدي في واسط فاستمرت الحرب بين الطرفين خمسة ايام فاندحر
جيش ابن البريدي وقتل في هذه الحرب من وجهاء البصرة وأعيانها
الذين كانوا انصاراً لابن البريدي سبعون رجلاً .

فلما بلغ ابن البريدي خبر هزيمة جيشه جهز جيشاً جديداً فعلم بذلك معز الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه واخذ معه الخليفة المطيع لله وتوجه نحو البصرة في سنة ٣٣٦ هـ فلما اقترب معز الدولة الى محل يسمى الدرهمية وسمع جيش ابن البريدي بقدم الخليفة معه استعظموا ذلك فاستأمنوا الى معز الدولة وانحازوا اليه فخاف ابن البريدي فانهزم الى هجر ملتجئاً بالقرامطة فدخل معز الدولة والخليفة البصرة باحتفال عظيم . وبعد ان نظم معز الدولة شؤون البصرة ولى عليها وزيره ابا محمد الحسن بن محمد المهلبى وذلك في سنة ٣٣٧ هـ وعاد الى بغداد ومعه الخليفة المطيع .

وفي ايام امارة الوزير ابن المهلبى على البصرة ثار امير البطيحة عمران بن شاهين على معز الدولة فقطع طريق البصرة في سنة ٣٣٨ هـ فقاتله ابن المهلبى ولكنه لم يظفر به . وحمل في سنة ٣٤١ هـ على البصرة (ثانية) حاكم عمان يوسف بن وجيه وكان القرامطة قد ثاروا يومئذ على معز الدولة فكتب اليهم يوسف يطعمهم في البصرة وطلب منهم ان ينجدوه بجيش بري فامدوه فحاصر البصرة نهراً وبراً ودام الحصار نحو شهر فقاتله ابن المهلبى حتى جائته النجدات من معز الدولة من بغداد فانتصر على يوسف انتصاراً نهائياً واغرق سفنه ونهب امواله وذخائره فانهزم يوسف بالخذلان والخمران .

امارة حبشي على البصرة وعصيانها

دخلت سنة ٣٤٧ هـ فوجهت اماره البصرة الى حبشي بنيت معز الدولة فاستقام امره فيها حتى مات ابوه معز الدولة ببغداد في سنة ٣٥٦ هـ وتولى بعده ابنه بختيار الملقب عن الدولة فحدثت بين الاخوين وحشة في سنة ٣٥٧ هـ فعصى حبشي بالبصرة وخرج على اخيه فارسل عن الدولة في السنة نفسها جيشاً بقيادة ابي الفضل العباس بن الحسين لقتال حبشي وطرده من البصرة وبعد حروب دامت اياماً انتصر ابو الفضل فدخل البصرة منصوراً واصر حبشي وارسله مخفوراً الى بغداد فحبس بها وصادر امواله .

ومكث ابو الفضل اميراً على البصرة اشهرًا ثم ولي عليها عن الدولة ابنه المرزبان

امارة المرزبان وعصيانها

تولى المرزبان اماره البصرة بعد ابي الفضل فحدثت في ايامه فتنة بين الديلم والأتراك في الاهواز ادت الى حروب دموية بين الطرفين فبلغ ذلك من في البصرة من الديلم فثاروا على الأتراك الذين فيها وفادوا باباحة دماهم فقتل من الأتراك عدد كثير وذلك في سنة ٣٦٣ هـ وعلى اثر ذلك سار عن الدولة من الاهواز الى البصرة وكان قد

ذهب الى الاهواز لامور ادارية فثار عليه ببغداد القائد ' سبكتكين
التركي على اثر نكبة الاتراك في الاهواز والبصرة وتطلب سبكتكين على
حكومة بغداد وطلب من الخليفة الطايغ ان يخلع نفسه ويسلم الخلافة
الى ابنه عبد الكريم لانه كان قد اصاب بالفالج وثقل لسانه فخلع نفسه
وباع لابنه ولقبه الطايغ لله في سنة ٥٣٦٣ هـ

وبعد ان قام عن الدولة بالبصرة اياماً صار الى واسط ثم توجه الى
بغداد فحدث بينه وبين سبكتكين فتنة اخرى فانسحب الى واسط
واستنجد بأبن عمه عضد الدولة صاحب بلاد فارس وحدث ما حدث
في بغداد حتى اغتصب عضد الدولة ببغداد وحبس عن الدولة .

فبلغ امير البصرة المزربان ابن عن الدولة خبر اعتقال ابيه وما جرى
له مع عضد الدولة فثار في البصرة في سنة ٥٣٦٤ هـ وهو يومئذ اميرها من
قبل ابيه فكاتب امراء البلاد واستنجد بهم على نصر ابيه وكتب الى
وكن الدولة يشكو اليه اعمال ابنه عضد الدولة ويخبره بما فعل بابيه وبعد
حوادث يطول شرحها اخرج عضد الدولة عن الدولة من السجن وارجمه
الى منصبه وعاد الى مقره في السنة نفسها .



عضد الدولة

وشرف الدولة والبصرة

ولما مات ركن الدولة وتولى ملكه ابنه عضد الدولة في سنة ٣٦٦ هـ حدثت بينه وبين عز الدولة صاحب العراق وحشة فحلاف فخر بن فاستولى عضد الدولة على البصرة أولاً في سنة ٣٦٦ هـ فاقام بها اياماً ثم ولى عليها ابنه ابا طاهر وسار منها فاستولى على واسط ثم انتهت تلك الفتنة باستيلاء عضد الدولة على العراق كله فدخل بغداد في سنة ٣٦٧ هـ في عهد الخليفة الطايغ لله . وبقي عضد الدولة ملكاً على العراق الى سنة ٣٧٣ هـ فتوفي ببغداد وتولى بعده ابنه صمصام الدولة ابو كاليجار . وفي السنة نفسها طمع في العراق اخوه شرف الدولة ابو الفوارس ابن عضد الدولة فحمل على اخيه صمصام الدولة بخمسة عشر الف مقاتل من الديلم وسار من الاهواز قاصداً البصرة وعليها يومئذ اميراً ابوطاهر بن عضد الدولة فاستولى عليها شرف الدولة عنوة واقطعها الى اخيه ابي الحسن بن عضد الدولة وذلك في سنة ٣٧٣ هـ . فبلغ صمصام الدولة خبر استيلاء شرف الدولة على البصرة فجهز لقتاله جيشاً وسيره بقيادة الامير ديمش فعلم بذلك شرف الدولة فسير جيشاً لقتاله بقيادة الامير ديس الاسدي فالتقى الجيشان فدارت الدائرة على جيش صمصام الدولة واسر قائده . ثم اصطلح

الاخوان على ان تكون البصرة لشرف الدولة وعلى اثر ذلك ولى شرف الدولة على البصرة اخاه ابا طاهر ابن عضد الدولة فاستبد بها ثم عصى واستقل في سنة ٣٧٥ هـ فجهز له شرف الدولة جيشاً وسار به فاتصر عليه واسره ودخل البصرة ظافراً .

وكانت الفتن مستمرة بين بني بويه فمادت الحرب في سنة ٣٧٦ هـ بين صمصام الدولة وبين شرف الدولة فاستولى الثاني على واسط اولاً ثم على بغداد في سنة ٣٧٧ هـ ودخلت جميع البلاد العراقية تحت حكمه حتى مات في سنة ٣٧٩ هـ و كان من الملوك المصلحين كعضد الدولة . فتولي بعده اخوه ابو نصر بهاء الدولة وهو الذي خلع الخليفة الطايغ طمعاً في امواله التي صادرها وولى الخلافة ابا العباس احمد ابن الامير اسحق ابن المقتدر ولقبه القادر بالله في سنة ٣٨١ هـ .

البصرة في ايام بهاء الدولة

تولى بهاء الدولة الملك في العراق في سنة ٣٧٩ هـ فاقام ببغداد وولى على البصرة نواباً .

وفي ايامه في سنة ٣٨٦ هـ زحف على البصرة لشكرستان احد قواد صمصام الدولة البويهى فقاتله نواب بهاء الدولة فاتصر عليهم بمساعدة جماعة من البصريين منهم ابو الحسن ابن ابي جعفر العلوي ودخل البصرة

ظافراً في السنة نفسها . ولما استتب أمره فيها طمع في اموال الناس فابتز اموال الثرين وقتك بجماعة كبيرة من الوجوه والاعيان حتى اضطرت جاعة منهم الى ترك اوطانهم . ولبث لشكرستان بالبصرة اكثر من شهر فحمل عليه امير البطيحة مذهب الدولة ابو الحسن علي ابن نصر بامراز من بهاء الدولة وكان تحت سيادته ، فلما اقترب مذهب الدولة من البصرة فر منها لشكرستان خوفاً من ان يقع في الاسر ودخلها مذهب الدولة ظافراً فولى عليها نائباً من قبله وظلت في قبضته الى سنة ٣٩١ هـ .

دخلت سنة ٣٩١ هـ فجمع القائد لشكرستان جيشاً كبيراً فاعاد الكرة على البصرة فدخلها عنوة واعاد الظلم والسلب وصادر اموال اكثر الوجهاء وقتل بعضهم قفر كثيرون من اهلها الى بلاد اخرى تخلصاً من ظلمه . فبقيت هذه المدينة تحت حكمه القاسي الى سنة ٣٩٥ هـ

وفي السنة نفسها (٣٩٥) جهز امير البطيحة مذهب الدولة جيشاً كثيفاً وصيره بقيادة احد قواده ابي العباس ابن واصل لقتال لشكرستان وطرده من البصرة وبعد معارك دامت اكثر من شهرين انهزم لشكرستان عن معه فاستولى ابو العباس على البصرة في السنة نفسها . وقد قتل في هذه الحادثة نحو الخمسة آلاف من الفريقين . وغرقت نهر ثمانية صفيحة .

استبداد ابي العباس في البصرة

كان ابو العباس ابن واصل من قواد مذهب الدولة امير البطيحة و كان من المخلصين له فلما انتصر على لشكرستان وطرده من البصرة واستتب أمره فيها طمع بالملك فخلع طاعة مذهب الدولة واستبد بالامور فسير بمذهب الدولة جيشاً لطرده ففشل جيشه فجهز له جيشاً ثانياً بقيادة ابي سعيد بن ما كولا ففشل ايضاً . وقوي أمر ابي العباس فخرج من البصرة بميشه قاصداً البطيحة وبعد حروب استولى على اكثرها فاضطربت عليه البلاد فخاف على نفسه فترك البطيحة وعاد الى البصرة .

و كان بهاء الدولة في تلك الاثناء مقيماً في الاهواز فلما بلغته قوة ابي العباس واستبداده بالبصرة خاف عاقبة أمره فاحضر عنده عميد الجيوش (او عميد العراق) ابا علي ابن جعفر المعروف باستاذ هرمن و كان نائبه ببغداد فجهز له جيشاً كبيراً وسيره لقتال ابي العباس ففشل ابو علي ثم جهز بهاء الدولة جيشاً آخر فاستمرت الحروب بين جيوش بهاء الدولة وبين ابي العباس مدة حتى اضطر بهاء الدولة الى المسير بنفسه فسار خمسة عشر الف مقاتل فاندحر جيشه وعاد بالفشل وذلك في سنة ٣٩٦هـ . فطمع ابو العباس بهاء الدولة فحمل عليه بجيشه وهو يومئذ بالاهواز فدحرته جيوش بهاء الدولة وعاد بالفشل وعلي اثر تلك الهزيمة زحف بهاء

الدولة بجيش كبير على البصرة فحاصرها اربعة ايام فانتصر على ابي العباس
فقتله ودخل البصرة ظافراً في سنة ٣٩٧هـ واقام بها اياماً ثم ولي عليها
الوزير ابا غالب وعاد هو الى الاهواز .

البصرة في عهد

سلطان الدولة وجلال الدولة

هدأت الاحوال بالبصرة بعد فتنة ابي العباس حتى مات بهاء الدولة
في سنة ٤٣٠هـ وتولى ابنه ابو شجاع الملقب سلطان الدولة فولى على
البصرة اخاه ابا طاهر الملقب جلال الدولة .

ولما تغلب مشرف الدولة على اخيه سلطان الدولة في سنة ٤١١هـ
واخذ العراق منه اقر على البصرة اخاه ابا طاهر فمكث على اماراة البصرة
الى ان مات مشرف الدولة ببغداد في سنة ٤١٦هـ فبويع بالملك ابو طاهر
جلال الدولة ابن بهاء الدولة ولما كان قد استوطن البصرة ايام امارته
عليها اراد ان يتخذها مقراً للسلطنة فطلب جيش بغداد قدومه اليهم
فامتنع فخرج جيش بغداد عن طاعته فاضطر الى المسير اليهم واستغلف
على البصرة ابنه ابو منصور الملاك العزيز . وفي ايام اماراة ابي منصور حدثت
فتن عظيمة بين الديلم والأتراك في البصرة فانتصر الأتراك فاخرجوا
الديلم منها فهجم الديلم على البصرة ونهبوا بعض القرى فخرج لقتالهم ابو

منصور فطردهم وذلك في سنة ٤١٩ هـ وعلى اثر ذلك ارسل ابو كاليجار ابن سلطان الدولة المستقل بفارس جيشاً بقيادة احد زعماء الديلم بختيار بن علي لاختد البصرة و بعد حروب استولى عليها عنوة وانهزم ابو منصور فهرب الديلم اسواق المدينة وصادروا اموال تجارها ودام النهب سبعة ايام وقتل في هذه الحادثة من البصريين عدد غير قليل. فدخلت سنة ٤٢٠ هـ فولى ابو كاليجار على البصرة ابا منصور بن بختيار القائد ابن علي. وبلغ الخبر جلال الدولة فجهز جيشاً كبيراً وسيره بقيادة وزيره ابي علي ابن ما كولا في سنة ٤٢١ هـ فسار ابو علي في اربعمائة سفينة مشحونة بالرجال ومعه عبد الله الشرابي فخرج لقتاله امير البصرة ابو منصور ابن بختيار و بعد حروب انكسر جيشه وانهزم هو وجيشه وتحصنوا بأبي الخصيب وشرعوا بالدفاع عن انفسهم فتيمة ابو علي فدارت معركة عنيفة دامت اربع ساعات فانجلت عن اندحار جيش جلال الدولة ووقع قائده ابي علي اسيراً.

ولما اتصل بخبر الهزيمة بجلال الدولة جهز جيشاً ثانياً فانتصر جيشه ودخل البصرة ظافراً في السنة نفسها (٤٢١) وعلى اثر ذلك جمع القائد بختيار جيشاً جديداً حمل به على البصرة فدحرته جنود جلال الدولة واسروه فقتلوه و بعد ايام حدث خلاف بين جنود جلال الدولة فتفرقوا فهجمت جيوش ابي كاليجار على البصرة فدخلتها في سنة ٤٢٢ هـ فولى

أبو كاليبجار على البصرة ظهير الدين ابن أبي القاسم فسكن الحال في البصرة حتى إذا ما كانت سنة ٤٢٤ هـ حدث خلاف بين أمير البصرة ظهير الدين وبين سيده أبي كاليبجار فاغتنم تلك الفرصة جلال الدولة فسير جيشاً بقيادة ابنه الملك العزيز فلما اقترب جيش جلال الدولة من البصرة انحاز أميرها إلى جلال الدولة وسلم المدينة إلى ابنه الملك العزيز على شرط أن يكون له كمساعد أو مشاور في تدبير شؤون البصرة .

ولم تمض أشهر على إمارة الملك العزيز على البصرة حتى قامت بينه وبين ظهير الدين فتنة أدت إلى حدوث قتال بينهما داخل المدينة وكانت النتيجة طرد الملك العزيز من البصرة فانحاز ظهير الدين إلى أبي كاليبجار واعتذر إليه فأقره على عمله على أن يدفع إليه في كل سنة سبعين ألف دينار ، فدخلت البصرة في ضمان ظهير الدين .

بقي ظهير الدين ابن أبي القاسم مستقلاً بالبصرة استقلالاً إدارياً إلى سنة ٤٣٠ هـ فامتنع عن إرسال المال المقرر إرساله إلى أبي كاليبجار وصار تارة يحتمي بجلال الدولة وأخرى يميل إلى أبي كاليبجار حتى اضطر أبو كاليبجار إلى إرسال جيش لقتاله فسير جيشاً بقيادة العادل أبي منصور ابن مافته في سنة ٤٣١ هـ وبعد معركة كتيبتين حوصرت البصرة حصاراً شديداً حتى عجز ظهير الدين عن الدفاع وقتل من جيشه نحو الأربعة آلاف فاضطر إلى الهرب فوقع أسيراً وصودرت أمواله المنقولة والثابتة

فأستولى جيش أبي كاليجار على البصرة عنوة ودخلها ظافراً وبعد أيام قليلة سار إليها أبو كاليجار فأقام بها أياماً ثم أعطاها بالضمان إلى ابنه عن الملوك على أن يدفع إليه في كل سنة مائة ألف دينار وجعل له مساعداً وزيره أبا الفرج بن فسانجس وعاد هو إلى الأهواز.

بقيت البصرة في قبضة عن الملوك ابن أبي كاليجار صاحب فارس والأهواز إلى أن تغلب أبو كاليجار المذكور على الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأخذ العراق منه في سنة ٤٣٥ هـ ثم دخل بغداد سنة ٤٣٦ هـ فلقبه الخليفة بحبي الدين فتم أمره في فارس والأهواز والعراق ومات أبو كاليجار ببغداد في سنة ٤٤٠ هـ فتولى العراق ابنه أبو نصر الملك الرحيم فعصى عليه أخوه عن الملوك واستبد بالبصرة في الوقت الذي كانت فيه أحوال الدولة مضطربة جداً وكان البصريون يومئذ قد كرهوا أميرهم لسوء سيرته معهم فتمنوا الخلاص منه على يد الملك الرحيم. فحمل الملك الرحيم على أخيه فالتقى الجيشان في السفن في دجلة في سنة ٤٤٥ هـ فاندحر عز الملوك وعاد إلى البصرة فتحصن فيها فنبهه أخوه فلما اقترب منه ثار البصريون على أميرهم فطردوه وسلموا المدينة إلى الملك الرحيم واستقبلوه بالترحاب والمرور وذلك في سنة ٤٤٦ هـ فأقام الملك بالبصرة أياماً ثم ولي عليها أبا الحرث أرسلان بن عبد الله البساسيري

التركي وعاد هو الى بغداد .

وكانت الدولة السلجوقية يوم ذاك قد قويت وفتح رجالها بلاداً كثيرة محاذة لشرقي العراق في الوقت الذي كانت دولة بني بويه قد ازدادت ضعفاً على ضعف وانحل أمرها وسئم الناس حكمها واصبحت عاجزة عن كل شيء . وكانت النتيجة ان طمع طغرل بك السلجوقي في العراق فحمل على بغداد فاستولى عليها في سنة ٤٤٧ هـ واسر الملك الرحيم فانقرضت الدولة البويهية من العراق بعد ان ملكته مائة وثلاثة عشر سنة . وقامت على انقاضها دولة بني سلجوق الاتراك .

البصرة في عهد السلجوقيين

فتح طغرل بك السلجوقي بغداد في سنة ٤٤٧ هـ كما ذكرنا فدانت له المدن العراقية في عهد الخليفة القائم بأمر الله فوجه الولاة الى البلاد وولى في السنة نفسها على البصرة هزار أسب ابن تكير ابن عياض على ان يدفع له في كل سنة ثلثمائة وستين الف دينا (دينار ذلك العهد) فدخلت البصرة في ضمان هذا الامير التركي وهو اول وال سلجوقي عليها . وفي ايامه ثارت القبائل النازلة بين البصرة وواسط على الحكومة الجديدة فاخضعهم هذا الامير بالسيف .

وبقي هزار أسب على البصرة وتوابعها الى سنة ٤٥١ هـ فوجهت

ولاية البصر بالضمان الى الاغرس ابوربن المظفر . وتوفي طغرل بك سنة ٤٥٥ هـ فتولى الملك ابن أخيه ألب ارسلان بن داود ثم تولى الملك بعده ابنه ملكشاه في سنة ٤٦٥ هـ فاعطيت البصرة بالضمان الى اعلان اليهودي في سنة ٤٦٩ هـ لما اعلان من المنزلة الرفيعة عند الوزير نظام الملك الذي كان قابضاً على زمام المملكة بيد من حديد فجبي اعلان الاعشار والرسوم والضرائب من البصرة وعمالها نحو ثلاث سنوات فمات في اواخر سنة ٤٧١ هـ بالبصرة . ومما يدل على علو منزلته في الدولة يوم ذاك ان السلطان ملكشاه لما بلغه موته حزن عليه وانقطع عن الركب ثلاثة ايام . ولما ماتت أم اعلان قبله با شهر مشى خلف جنازتها جبيع البصريين الا القاضي فبلغ ذلك الوزير نظام الملك فعد عمل القاضي اهانة للحكومة فاغرمه الف دينار وهي غرامة غريبة في بابها .

وعلى اثر موت اعلان اليهودي اعطيت البصرة بالضمان الى خوارتكين التركي في اوائل سنة ٤٧٢ هـ على ان يدفع الى خزينة الدولة السلجوقية في كل عام مائة الف دينار ومائة حصان .

وفي ايام ملكشاه توفي الخليفة القائم بامر الله ببغداد في سنة ٤٦٧ هـ فبويع بالخلافة للمقتدي بالله .



عزوالاعراب البصرة واستيلائهم عليها

كانت البصرة قد اعطيت بالضمان الى العميد بن عصمة في سنة

٤٧٥ هـ بعد نسخ ضمان خارتكين فلما قامت الحروب بين السلحوقيين

وضعت الدولة طمع الاعراب بالبصرة فغزاها بنو عامر النازلين في

الاحساء فحملوا عليها بعشرة آلاف فارس فاحاطوا بها في سنة ٤٨٣ هـ

في عهد السلطان ملكشاه فخرج اميرها العميد فقاتلهم فلما لم يكن

عنده جيش يكفي لصددهم انسحب الى نهر معقل فبلغ البصريين انسحابه

فخافوا على انفسهم من القتل فتركوا اوطانهم وفروا الى بلاد اخرى

فدخلت بنو عامر البصرة فنهبوا وخربوا واحرقوا عدة مواضع من جملتها

مخزن الكتب التي اوقفها الوزير ابو منصور بن شاه مردان و كان فيه

على ما يروى عشرات الالوف من الكتب الثمينة. وخزانة الكتب التي اوقفها

ابو الفرج بن ابي البقاء و كان فيها على ما قيل خمسون الف كتاب .

وخربوا اوقاف البصرة . وظلوا ينهبون المدينة نهاراً ثم يخرجون منها ليلاً

فينهبها اصحاب ابن العميد ليلاً : وبقى هذا الحال المريع اياماً .

ولما بلغ خبر هذه الفارة الى بغداد وجهت الحكومة سيف الدولة

الى طرد الاعراب من البصرة بأمر من السلطان ملكشاه فصار

سيف الدولة بجيش كبير فوجدهم قد خرجوا منها وفروا الى جزيرة العرب . فمات السلطان ملكشاه في سنة ٤٨٥ هـ فقامت الحروب بين الاسرة المالكة حتى تم الامر في السنة نفسها الى السلطان بر كيارق فوجهت اماره البصرة في سنة ٤٩٣ هـ الى الامير قباج . وفي ايام بر كيارق توفي الخليفة المقتدي بالله ببغداد فجأة في سنة ٤٨٧ هـ فبويع بالخلافة لابنه المستظهر بالله . وكانت ايام بر كيارق كلها فتن وحروب .

استبداد اسماعيل بن سلاجق بالبصرة وعصيانه فيها

بقي الامير قباج التركي على البصرة اشهرآ ثم استخلف عليها نائباً اسماعيل بن سلاجق التركي فاستقام امره فيها سنتين ثم طمع بالملك فعصي واستقل في الوقت الذي كانت فيه الاضطرابات الداخلية متوالية في المملكة وقد استبدت اكثر اعمال . فاعزت الحكومة الى مذهب الدولة ابن ابي الخير صاحب البطيحة بقتال اسماعيل وطرده من البصرة فसार مذهب الدولة ومعه معقل بن صدقة بن الحسين الاسدي صاحب الجزيرة الديرية يقود كل منهما جيشه فالتقوا باسماعيل فقتل معقل فانتقل جيشه فاضطر مذهب الدولة الى الرجوع وذلك في سنة ٤٩٤ هـ

وقوي امر اسماعيل و كثرت جوعه واتسعت امارته وازداد قوة

بالاختلاف الواقع بين السلاطين السلاجقة فخفف الضرائب والرسوم عن
 اهل البصرة ليجلب قلوبهم اليه ثم راسل سيف الدولة واطهر له انه في
 طاعته. ثم حاول اخذ واسط ففشل. وفي ايامه حمل في سنة ٤٩٥ هـ على
 البصرة ابو سعيد بن مضر صاحب عمان فوصلت جيوشه شط العرب
 فقطعوا الطريق وقتلوا ونهبوا ثم جرت مراسلات في الصلح بين ابي سعيد
 وبين اسماعيل فلم يتم الصلح فحمل ابو سعيد على اسماعيل فاقتتل الجيشان
 فانكسرت عساكر اسماعيل فاضطر الى طلب الصلح فتوسط بينهما وكبل
 الخليفة فتم الصلح على يده .

فلما استقر الامر للسلطان محمد السلجوقي اراد ان يرسل الى البصرة
 مقطماً يأخذها من اسماعيل فخاطب في ذلك سيف الدولة صاحب الحلة
 حتى اقرت البصرة على سيف الدولة فوجه السلطان عميداً اليها ليتولى
 ما يتعلق بالسلطان (١) هناك فمنعه اسماعيل ولم يمكنه من عمله .
 فبلغ السلطان محمد ذلك و كان قد تولى السلطنة بعد موت اخيه بركيارق
 في سنة ٤٩٨ هـ فأمر سيف الدولة بطرد اسماعيل من البصرة

(١) وكانت الحكومة السلجوقية ترسل الى كل بلد عميد يتولى ما يتعلق بالسلطان
 كما كان الخليفة يرسل وكلاءه ليقوم بما يتعلق بديوانه في تلك البلد . فكانت المدن
 اذا اعطيت بالضمان يرسل السلطان عميداً ويرسل الخليفة وكلاء او نائبا .



امارة سيف الدولة على البصرة

تهباً سيف الدولة لقتال اسماعيل ولكنه اشتغل بقتال منكبر من الذي
خرج على السلطان وقصد واسطاً . فاخر مسيره الى البصرة واسكنه
ارسل الى اسماعيل عاملاً من قبله فقبض عليه اسماعيل واعتقله فوصل
الخبر الى سيف الدولة فجهز جيشاً كبيراً قاده بنفسه وقصد البصرة في
سنة ٤٩٩ هـ

ولما بلغ اسماعيل قدوم سيف الدولة بالجيش استعد للحرب وحصن
المدينة وقلاعها واعتقل الوجوه من العباسيين والعلويين وغيرهم من
الاعيان فحاصر سيف الدولة المدينة راء ونهراً و كان جيشه عشرين الف
مقاتل على مائتين فخرج لقتاله اسماعيل ففشل فتحصن بالمدينة واخذ
بالدفاع فدام الحصار اشهراً ثم هجمت جنود سيف الدولة هجمة نهائية
فدخلت المدينة في سنة ٥٠٠ هـ وانتهت هذه الحادثة بانتصار سيف
الدولة ودخوله ظافراً . فانهم اسماعيل الى قلعة الجزيرة فامتنع بها ثم
طلب الامان فامنه سيف الدولة فصار الى فارس .

ومما يؤسف عليه ان جيش سيف الدولة حينما دخل البصرة فاتحاً
نهب بعض المحلات . وعلى مائتين بعضهم انهم استمروا على النهب ثلاثة

ايام ثم نودي بالامان .

ومكث سيف الدولة في البصرة اياماً نظم فيها شؤن المدينة ثم استناب عنه مملوكا كان لجد هديس اسمه التوتاش (و يروى نوتاش والنوشاش) وجعل معه مائة وعشرين فارساً وسار هو الى مقره الحلة .

مضت ثلاثة اشهر على نيابة التوتاش على البصرة فاجتمعت ربيعة وانضم اليها المنتفكيون ثم قبائل اخرى من الاعراب واتفقوا على غزو البصرة وكانوا على ما يروى خمسة آلاف مقاتل فهجموا على البصرة فقاتلهم التوتاش فانهمز لقله جيشه فاسروه ودخلوا البصرة عنوة في سنة ٥٠٠ هـ . فقتلوا ونهبوا اكثر الاسواق والدور واحرقوا بعضها وخرّبوا كثيراً من الدور حتى قال بعضهم : خرب في هذه الحادثة نحو الستة الاف دار وعشرة آلاف دكان منها حرقا ومنها هدماً ، ودام النهب والسلب شهراً ثم خرجوا بعد ان انهزم اكثر البصريين من اوطانهم وتفرقوا في البلاد .

وبلغ سيف الدولة خبر غارة الاعراب على البصرة وأسر نائبه فارسل جيشاً لطردهم فوصل جيشه وقد خرج القوم من المدينة وفارقوها .



امارة الامير اقسنقر

البخاري على البصرة

عندما اتصل بالسلطان محمد السلجوقي خبر هجوم الاعراب على البصرة وما فعلوه فيها من الافعال المنكرة من نهب وقتل وتخريب انتزع امارتها من سيف الدولة في سنة ٥٠٦ هـ وولى عليها الامير آقسنقر البخاري وجعله شحنة وعميداً (١) فاستقام أمره فيها فعماد كثير من البصريين الى اوطانهم فقام هذا الامير الى سنة ٥٠٥ هـ ثم استخلف عليها سنقر البغلي وسار هو الى فارس فاحسن سنقر السياسة والتدبير وسار سيرة مرضية في الاهلين فبقيت البصرة تحت حكمه بالنيابة عن الامير آقسنقر حتى مات السلطات محمد ببغداد في سنة ٥١١ هـ وجلس مكانه ابنه السلطان محمود فاقره على عمله وفي ايامه مات الخليفة المستظهر بالله في سنة ٥١١ هـ فبويغ بالخلافة لابنه المسترشد بالله .

(١) الشحنة هو الذي يتولى جباية الاموال كاضرائب والاعشار وغير ذلك . والعميد هو الذي يتولى ما يتعلق بالسلطان من الامور السياسية والادارية والاحكام . وكان السلطان نسخ الضمان وسلم شؤون البصرة كلها الى هذا الامير .



استيلاء ابن سكيان على البصرة

بقي سنقر البياي حاكماً على البصرة بالنيابة عن الأمير آقسنقر البخاري الى سنة ٥١٣ هـ فثار احد امراء الجيش اسمه غزغلي وهجم على الحجاج و كان امير الحج يومئذ علي بن سكيان فقاتل الثائر حتى قتله فانهمزم اصحابه الى البصرة فلاحقهم ابن سكيان حتى دخل المدينة في اثرهم فوجد فتنة جديدة قامت بين الحاكم وبين رؤساء الجيش فاغتنم فرصة تلك الفتنة فتغلب على الولاية في السنة نفسها (٥١٣) هـ .

ولما استتب امر علي ابن سكيان بالبصرة كتب الى الامير آقسنقر البخاري يعرض له الطاعة ويطلب منه توجيه النيابة اليه ، فلم يجبه الامير الى ما طلب فاستبد ابن سكيان بالامر ولكنه سار سيرة حسنة في البصر بين وجاملهم ووالاهم و بقي مستقلاً فيها الى سنة ٥١٤ هـ

دخلت سنة ٥١٤ هـ فسير السلطان محمود جيشاً كبيراً بقيادة الامير آقسنقر البخاري لطرد علي بن سكيان من البصرة فالتقى الاميران وقاتل الجيشان وبعد حروب اسنولى الامير آقسنقر على البصرة عنوة في سنة ٥١٥ هـ ودخلها ظافراً وانهزم ابن سكيان فاستقام امر الامير في هذه المدينة مدة حتى اذا ما كانت سنة ٥١٧ هـ ثار صاحب الحلة ديبس بن صيف الدولة وخرج على السلطان والخليفة ممأ فخار بته حكومة بفداه

حتى تمزق جمعه فالتجأ بقبائل المتفك فاغرام على غزو البصرة واخذها فوافقه وساروا معه حتى هجموا عليها ودخلوها فنهبوا اسواقها وقتلوا رئيس جيشها فبلغ الخبر حكومة بغداد فشيرت لقتاله جيشاً بقيادة البرسقي فانهزم ديس ومن معه ودخلوا البادية فدخل البرسقي البصرة بدون قتال فتولى شؤونها ، فبقيت البصرة تحت حكم السلاطين السلاجقة يحكمها امراؤهم الى سنة ٥٤٧ هـ ثم عادت الى الخلفاء وسبأني ذكر ذلك .

رجوع البصرة الى الخلافة العباسية

كانت البصرة قد خرجت من سلطة الخلفاء منذ تسلط على الخلافة بنو بويه وأسس معز الدولة البويهى دولته في العراق في سنة ٣٣٤ هـ في عهد الخليفة المستكفي بالله وظلت كذلك حتى انقرضت الدولة البويهية وقامت على انقاضها الدولة السلجوقية في سنة ٤٤٧ هـ في عهد الخليفة القائم بامر الله وتوالى حكم سلاطين السلاجقة على العراق وليس للخلفاء غير الخطبة والتوقيع على المناشير حتى مات السلطان محمود السلجوقي في سنة ٥٢٥ هـ وجلس ابنه السلطان داود قتار عليه عمه السلطان

مسعود فاشتمرت بينها الحروب الى ان تغلب على الامر السلطان مسعود في سنة ٥٢٦ هـ فاغتنم الخليفة المسترشد بالله فرصة تلك الحروب فارجع اكثر حقوق الخلافة المنصوبة والاف له جيشاً في بغداد واصبح مطاعاً نافذ الكلمة في اكثر شؤون البلاد العراقية وقاتل الخارجين عليه حتى خافه السلاجقة انفسهم . وظل يجتهد في ارجاع جميع حقوق الخلافة مقتناً فرصة ضعف الدولة السلجوقية وبعد رجالها عنه وانشغالهم في الحروب التي دامت بينهم اعواماً طويلاً . ولكنه اغتر بقوته فخارب السلطان مسعود وحل عليه الى همدان وبعد حروب انحازاكثر قواده الاتراك الى السلطان وغدروا به فانخذل ووقع أسيراً في قبضة السلطان مسعود فخذعه بمقد اتفاقية فاعز الى الاتراك بقتله فقتلوه غدراً في اواخر سنة ٥٢٩ هـ بظاهر مراغة وعادت سلطة السلاجقة على العراق .

فتولى الخلافة بعد المسترشد ابنه الراشد بالله ثم خلع في سنة ٥٣٠ هـ فتولاها المقتني لامر الله فسمى في اعادة حقوقه حتى اذا مات وفي السلطان مسعود في سنة ٥٤٧ هـ وكثرت الفتن والحروب بين آل سلجوق تفرد الخليفة المقتني بالحكم في العراق وزال نفوذ السلاجقة واصبح الامر كله للخليفة لا يشار كه فيه احد وعادت البصرة الى الخلفاء يولون عليها من شاؤا . وهو الذي ولي على البصرة في سنة ٥٥٤ هـ كشتكين التركي وعزل عنها الشيخ معروف رئيس المنتفق الذي تولى امارتها منذ سنة ٥٣٢ هـ

وتوفى الخليفة المتقي في سنة ٥٥٥ هـ فبويغ لابنه المستنجد بالله
فأقر على البصرة كشتكين . وسار هذا الخليفة سيرة ابيه في الحزم والعزم
وضبط الامور وفي ايامه استولى على ابن شنكا على البصرة .

استيلاء ابن شنكا على البصرة

في الوقت الذي كان فيه كشتكين التركي على البصرة كان ابن
شنكا (او ابن شنكاه) على مدينة واسط في عهد الخليفة المستنجد بالله .
وكان كشتكين قد اشتغل بجمع الاموال واهمل امر المدينة وغفل عن
الطامعين بامارته فطمع به ابن شنكا فحمل عليه في سنة ٥٦١ هـ فنهب
القرى والضياع ثم رجع واعاد الكرة في سنة ٥٦٢ هـ فاستولى على البصرة
عنوة بعد ان نهب وخرّب اكثر المواضع . واتصل خبره بالخليفة المستنجد
فارسل اطرده جيشاً بقيادة عميد الدين في سنة ٥٦٣ هـ فانهزم ابن شنكا
ودخلت جيوش الخليفة ظافرة .

ومات الخليفة المستنجد في سنة ٥٦٦ هـ فتولى الخلافة المستضي بامر
الله فتوفى سنة ٥٧٥ هـ وجلس مكانه الناصر لدين الله وكانت البصرة
تحت حكم الخلافة الى سنة ٥٧٧ هـ فاقطع الخليفة الناصر لدين الله ولاية

البصرة الى احد مماليكه المعروف بالامير طغرل بك فمكت هذا الامير
في البصرة الى سنة ٥٨٠ هـ فولى نائباً عنه محمد بن اسماعيل .

غزوة العامريين بالبصرة

وفي ايامه حل على البصرة بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة العامري
وساروا اليها من الاحساء في سنة ٥٨٨ هـ فلما اقتربوا منها خرج لقتالهم
محمد بن اسماعيل فقاتلهم طول النهار فلما جن الليل ثلم بنو عامر سور
المدينة ودخلوها على حين غفلة من اهلها فقتلوا ونهبوا فانهزم محمد بن
اسماعيل . و كان قد كتب قبل وصول بني عامر الى رؤساء المنتفق
وخفاجة يطلب منهم النجدة فوصل منهم جمع كبير بعد دخول الغزات
بيوم فبلغ ذلك بني عامر فخرجوا مسرعين فالتقوا بالمنتفق وخفاجة
بضواحي المدينة و بعد قتال انتصر بنو عامر فعادوا الى البصرة وعاد
النهب والسلب مرة اخرى فاضطر البصريون الى ترك بلادهم فانهزموا منها
باتقسيم فبلغ بني عامر خبر تجهيز الجيوش من بغداد لقتالهم فخرجوا من
المدينة بعد بضعة ايام . فعاد البصريون الى اوطانهم وذلك في السنة
٥٨٨ هـ



البصرة في اواخر عهد العباسيين

كانت ولاية البصرة قد وجهها الخليفة الناصر لدين الله الى الامير ملتسكين التركي في سنة ٦١٨ هـ فاستتب امره فيها الى سنة ٦٢٢ هـ في السنة التي توفي فيها الخليفة الناصر وتولى الخلافة ابنه الظاهر بامر الله فحمل على البصرة جلال الدين بن خوارزم شاه بجيش كبير فخرج لقتاله الامير ملتسكين، فاستمرت بينهما الحروب اكثر من شهر حتى وصل المدد من بغداد فانهمزم جلال الدين .

وظلت البصرة في قبضة الخلافة العباسية يتولاها الولاة حتى مات الخليفة الظاهر في سنة ٦٢٣ هـ وجلس مكانه المستنصر بالله فمات في سنة ٦٤١ فتولى الخلافة المستعصم بالله فلما حل هولاكو بجيش المغول على بغداد وقرض الدولة العباسية في سنة ٦٥٦ هـ واستولى على العراق كله دخلت البصرة في حكمه .



الدولة الايلخانية المغولية في البصرة

او

خراب البصرة القديمة

كانت البصرة القديمة حينما استولى هولاكو على العراق في سنة ٦٥٦ هـ وقرض الدولة العباسية واسس الدولة الايلخانية قد خربت من توالي المتن والحروب وهجمات الاعراب وانهزم اهلها الى بلاد اخرى حتى لم يبق فيها غير دور قليلة . ومع ذلك فانها دخلت في قبضة هولاكو فوجه اليها حاكماً وليكثها كانت فوضى حتى مات هولاكو في سنة ٦٦٣ هـ وتولى الملك ابنه ابا قاخان . وبقيت تحت حكم ولاية بغداد يولون عليها من شاؤا في عهد الملك تاكور دار او احمد الذي تولى في سنة ٦٨١ هـ وايام ارغون خان المتولي في سنة ٦٨٣ هـ وايام كيخا توخان (٦٩٠) وبايدوخان (٦٩٤) هـ وغازان (٦٩٥) هـ فتم خراب البصرة القديمة في عهده في سنة ٧٠١ هـ في الوقت الذي كانت فيه الحروب مستمرة بين آل هولاكو والفتن على ساقه وقدم . فقامت مكان البصرة القديمة البصرة الجديدة التي سبغت عن كيفية تأسيسها وما جرى فيها الى آخر ايام الدولة العثمانية التركية .

تتمة

لما كانت البصرة باب العراق ومركزاً لوسطا بين سورية والحجاز ومجده
وفارس وغيرها اهتم بها الخلفاء الراشدون حتى زهت في اول عهد
بأعظم الرجال وصارت في القرون الاولى من بنائها دار العلوم والفنون
وجتمع المجتهدين ومركز الآداب ومهد الحضارة والتجارة والعمران
ومعدن الثروة واخذت تتوسع عاماً فعاماً خصوصاً في أيام بني أمية فانهم
اهتموا بها اهتماماً عظيماً فأصدين بذلك تضعيف ارض يثرب (المدينة)
مقر العلويين الطامحين بالخلافة . فتهاقت اليها الناس من كل الجهات
فازدحت بألوف من التجار واهل الصناعة والمعارف على اختلاف ملهم
ونحلهم وطارصيتها في الافاق حتى عظم شأنها واصبحت من اعظم بلاد
الاسلام في عهدهم واشتهرت بالسعة والعمران وكثرة الخيرات . وظل
السعد يخدمها حتى سماها العرب خزانة العرب وقبة الاسلام كما كانت
الكوفة يوم ذاك تسمى قبة الاسلام .

وازدادت هذه المدينة همراً واثروة وزهواً وشهرة في العصر العباسي
الاول حتى صارت في ذلك العهد من اكبر المدن الشرقية وسكنها
كبار الرجال من العباسيين والعلويين ورجال العلم والادب وتهاقت اليها

العلماء والادباء والشعراء والفلاسفة والتجار وارباب الصناعة وغيرهم فابتنوا فيها القصور الشامخة والمباني الفخمة وانشأوا الحدائق الغناء والميادين الواسعة والبرك والبساتين وحفروا عشرات الالوف من الانهار وكثرت فيها المدارس الكبيرة والمعاهد العلمية وامتدت تجارة اهلها الى الهند والصين شرقاً واقصى بلاد المغرب غرباً والى الحبشة جنوباً . وكانت السفن التجارية التي ترسو في مينائها وتحمل اصناف التجارة من القماش والحبوب المختلفة والتمور وغيرها تعد بعشرات الالوف . وبلغت ضرائب تلك السفن مبلغاً عظيماً منذ عهد الامويين الى اواخر العصر العباسي الزاهر ثم نقصت حينما ضعفت دولة بني العباس حتى اصبحت (ضريبة السفن التجارية) في ايام الخليفة المقتدر بالله في سنة ٣٠٦ هـ (١٠٧٥ و ٢٢) دينار سنوياً .

اما بساتينها فكانت ممتدة الى عبادان عند الخليج الفارسي تتخللها الوف الانهار ومشات القصور والحدائق المزينة بانواع الرياحين والازهار حتى اشتهرت بالمناظر الانيقة والميادين العجيبة والبرك الفسيحة والقواكه البديعة والمباني الفخمة والقصور الشامخة وكثرت الخيرات .

اما جوامعها فكانت كثيرة جداً واشهرها الجامع المعروف يوم ذاك بمسجد الامام علي الذي كان في وسطها وكان من احسن المساجد وانظمتها وافسحها واحكمها وكان صحنه مفروشاً بالحصباء الحمراء التي يوثق

بها من وادي السباع (١) و كان عليه بناء عاليا مثل الحصن . و كان قد علق على جداره الخارج الوف من حلقات الحديد لربط خيل من يدخل الجامع من اشراف العرب وزعمائهم والوارد ين من النواحي ، حتى بالغ بعضهم فقال كانت تلك الحلقات سبعين الف حلقة ولكنها مبالغة غير معقولة . و كان في هذا الجامع القرآن الذي كان عثمان بن عفان يقرأ فيه لما قتل وأثر تغير الدم في الورقة التي فيها الآية (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) .

وبدأ انحطاط هذه المدينة منذ ضعفت الدولة العباسية فظلت تنحط سنة فسنة وتزداد انحطاطاً بسبب توالي الفتن والحروب فيها وظل الامر كذلك في عهد البويهيين وايام السلجوقيين وفي العهد العباسي الاخير حتى اصبحت في القرن السابع للهجرة لا تزيد على ثلاث محلات كبار (محلة هذيل ومحلة بنى حرام ومحلة المعجم) .

ثم تواتت عليها النكبات واغار عليها الخوارج حتى اضطر من بقي من اهلها الى الهجرة منها فتركوها بالتدريج فخربت عن آخرها وتم خرابها في سنة ٧٠١ هـ

ومن اسباب خرابها ظلم الولايات واستبدادهم فيها وهجمات الاعداء

() وادي السباع مشهور وهو على ستة اميال من البصرة

عليها ووخامة الهواء الجاهلة من تفنن المياه المحيطة بها المنبعثة من انكسار
صد الجزائر وتشي الطولعين . .

وقد انجبت البصرة القديمة عدداً لا يحصى من العلماء والادباء
والخطباء والكتاب والمحدثين والمؤلفين والشعراء ورجال الدين واللفة
والنحو والفلسفة . في ازمان مختلفة منذ اصبحت الى آخر ايام العباسيين
خصوصاً في عهد الامويين وفي العصر العباسي الزاهر .

ومن مشاهيرها من رجال العلم والادب .

ابو الاصود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩ هـ

والحسن البصري المتوفي سنة ١١٠ هـ

ومحمد بن سيرين المتوفي سنة ١١٠ هـ

والقرزوق الشاعر المتوفي سنة ١١٠ هـ

والمهلب ابن ابي صفرة القائد الكبير المتوفي سنة ٨٣ هـ

وابن جريح المتوفي سنة ١٥٥ هـ

والخليل بن احمد التميمي المتوفي سنة ١٦٠ هـ

وبشار بن برد الشاعر المتوفي سنة ١٦٨ هـ

وشبيب بن شبيب التميمي المتوفي سنة ١٦٥ هـ

وعبد الله بن المقفع المقتول سنة ١٤٢ هـ

وابو عبيدة مصر بن المثنى المتوفي سنة ١٩٣ هـ

وابو فيد مؤرج السدوسي المتوفي سنة ١٩٥ هـ

وسيبويه النحوى المتوفي سنة ١٨٠ هـ

والاخفش المتوفي سنة ٢١١ هـ

وعبد الله بن داود الحريري المتوفي سنة ٢١١ هـ

والاصمعي المتوفي سنة ٢١٦ هـ

وابراهيم بن سيار المتوفي سنة ٢٢١ هـ

وابو عثمان الجاحظ المتوفي سنة ٢٢٥ هـ

وابو الهذيل محمد بن العلاف المتوفي سنة ٢٢٦ هـ

وابو علي الضحاك الشاعر الخليع المتوفي سنة ٢٥٠ هـ

وابو داود المحدث المتوفي سنة ٢٧٥ هـ

وابو بكر العبيدي المتوفي سنة ٣٠٤ هـ

وابو القاسم نصر الخبزارزي الشاعر المتوفي سنة ٣١٧ هـ

وابو الحسن علي الاشعري المتوفي سنة ٣٢٤ هـ

وابو يعقوب يوسف الالفوي المتوفي سنة ٤٢٣ هـ

وابو عبد الله ابن الشيباس الذي ادعى الالوهية المتوفي سنة ٤٤٤ هـ

وابو محمد القاسم الجريري المتوفي سنة ٥١٣ هـ

وغير هؤلاء كثيرون كحماد والسيد الحيري وخلف الاجر

ويونس بن حبيب والوزير احمد بن عمار وزير المعتصم وابو زيد الانصاري

ويزيد بن المهلب وهرون بن موسى اليهودي وابو الحسين محمد المعروف
 بابن لنكك الشاعر وابن ابي اسحق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي
 وميمون الاقرن وابو الحسن النضر بن شميل التميمي المازني والحسين بن
 حمدان مؤسس الديانة النصيرية وعلى بن محمد القيسي الخارجي وابو محمد
 عبد الله الاكفاني واخوان الصفا وهم زيد بن رقاعة وابو سليمان محمد
 بن مشعر البستي المعروف بال مقدسي وابو الحسن علي بن هرون الريحاني
 وابو احمد المهرجاني والعوفي

وغيرهم ممن لو ذكرنا اسمائهم وتراجهم لأحتجنا الى تنسيق
 كتاب كبير .

اما الذين ماتوا بالبصرة ودفنوا فيها من الصحابة والتابعين
 المستشهدين يوم الجمل فهم عدا ما ذكرنا اسمائهم كثيرون ايضا
 فمن هؤلاء من الصحابة طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وابي بكر
 وعتبة وغيرهم ممن استشهدوا يوم الجمل وكانوا كثيرين . ومن التابعين
 محمد بن واسع وعتبة الغلام ومالك بن دينار وسهل بن عبد الله التستري
 (والحسن البصري ومحمد بن سيرين وحجاد) .

وفيهما ماتت حليلة السعدية ام النبي في الرضاعة . وعلى ستة اميال
 من البصرة قرب وادي السباع دفن انس بن مالك .

الفصل الثاني

البصرة الحديثة

ذكرنا قبل هذا في محله ان الخليفة المعتمد على الله كان قد سيراخاه طلحة الملقب بالموفق بالله بميش كبير الى البصرة في سنة ٢٦١ هـ لقتال علي بن محمد القيسي صاحب الزنوج الذي اشغل الدولة العباسية بالحروب اعواماً فلما وصل الموفق البصرة ورأى صاحب الزنوج قد ابتنى بالقرب من البصرة مدينة كبيرة وحصنها بالاسوار والابراج والعدد والعدد واتخذها مقراً للحركات الحربية ابتنى الموفق مدينة صغيرة على نهر الابله او على شط العرب تبعد عن البصرة القديمة بنحو ٢٨ الف قدم (فوت) الى الشمال الشرقي (او تبعد عن القديمة بنحو ساعتين) لحسن موقعها الجغرافي وجعلها مركزاً عاماً لجيشه و مقراً للحركات الحربية فعرفت بالموفقية نسبة اليه فلما انتصر انتصاراً نهائياً على صاحب الزنوج وقتله في سنة ٢٧١ هـ بقيت هذه المدينة عامرة ثم سميت على توالي الاعوام باسم البصيرة (تصغير البصرة) وصارت منزلها ومضيفاً للولاة والوجهاء فابتنوا فيها القصور والمنازل حتي توسعت وزادت عمارتها على توالي الايام واخذ البصريون يهاجرون البهار ويدأرون بدأ فاما تم خراب البصرة القديمة الا وصارت هذه مدينة كبيرة وسميت البصرة

واندرس اسم الموقية واسم البصرة وقامت مقام القديعة في سنة ٧٠١ في عهد السلطان غازان احد ملوك الدولة الايلخانية التي اسسها هو لأكو المغولي في العراق بعد دولة بني العباس في سنة ٦٥٦ هـ اعني انها قامت مقام القديعة في اوائل القرن الثامن للهجرة الموافق لاوائل القرن الرابع عشر الميلاد .

البصرة الحديثة في عهد الايلخانيين

كانت البصرة الحديثة في عهد الملك غازان اوقازان الايلخاني المغولي تابعة لبغداد ترسل اليها الاحكام من قبل الحاكم العام المقيم ببغداد وظلت على تلك الحال حتى مات هذا السلطان في سنة ٧٠٣ هـ وتولى الملك ابنه السلطان خدا بنده محمد ثم تولى بعده ابنه السلطان ابو سعيد بها درخان في سنة ٧١٥ هـ وفي ايامه في سنة ٧٢٥ هـ كان علي البصرة اميراً ركن الدين الفارسي التوريزي . فلما مات ابو سعيد هذا في سنة ٧٣٦ هـ وتولى السلطنة ار يا غاؤون أو ار يا خان ثار حاكم العراق ببغداد علي بادشاه قنادى بسلطنة موسى خان احد افراد الاسرة المالكة فقامت الفتن والحروب بين التتريين فتغلب على بعض البلاد الفراتية الممالك ملوك مصر والشام وتغلبت قبائل العرب على البصرة والكوفة وعلي

اكثر البلاد الواقعة على حافة البادية وحافة سواد العراق . وانتهت فتنة
التمريرين بقتل ارباغاون وصار الملك الى موسى خان فقتل بعد بضعة
اشهر فعادت الحروب بين افراد العائلة المالكة وبقيت البلاد المراقية
فوضى فحمل الشيخ حسن الكبير الجلائري التمري بجيش جرار وكان
اميراً على التتر الرحل المبشوثين في آسيا الصغرى فالتقى بها كم العراق
موسى خان وبعد حروب انتصر عليه وقتله ثم سار الى العراق فاستولى
عليه في سنة ٧٣٨ هـ واسس الدولة الجلائرية في العراق .

البصرة في ايام الدولة الجلائرية وايام تيمور لنك

بعد ان استقر أمر الشيخ حسن الكبير مؤسس الدولة الجلائرية التمرية
في العراق في سنة ٧٣٨ هـ وجه الولاة الى البلاد ومنها البصرة
فبقيت هذه المدينة بحكمها رجاله الى ان توفي في سنة ٧٥٧ هـ وتولى العراق
ابنه السلطان اويس ثم مات في سنة ٧٧٦ هـ فاستقل بالعراق ابنه السلطان
حسين فقتله اخوه السلطان احمد في سنة ٧٨٤ هـ وجلس مكانه فنامت
المعارك والحروب بين رجال الاسرة المالكة حتى ضعفت الدولة في
الوقت الذي كان فيه الفاتح المشهور تيمور لنك ملك التتر قد قوي أمره

وعظمت سطوته واستولى على بلاد كثيرة كفارس وخراسان وسجستان
وافغانستان واذربيجان وغيرها حتى وجه نظره الى العراق فحمل عليه
في سنة ٧٩٥ هـ فانهزم السلطان احمد لعدم قدرته على صدده فاستولى
تيمور لك على بغداد اولاً ثم على بقية المدن العراقية فوجه الولاة الى
الامصار وترك في كل مدينة حامية وسار هو لفتح الهند

وكان السلطان احمد قد فر الى مصر ملتجئاً بسلطانها الملك
الظاهر برقوق فجهز له جيشاً كبيراً وسيره معه الى بغداد فلما اقترب منها
انضمت اليه اكثر القبائل العراقية فحاصر بغداد فاضطر الحاكم الامير
مسعود السبزاوي الى الهزيمة منها فدخلها السلطان احمد في سنة ٧٩٧ هـ
فعادت له اكثر المدن العراقية .

اما تيمور لك فانه بلغه ما قام به السلطان احمد الجلائري من
استرجاع العراق فكر راجعاً في سنة ٨٠٣ هـ وبعد حروب استولى على
بغداد عنوة (مرة ثانية في السنة نفسها) .

ومات تيمور لك في سنة ٨٠٨ هـ اثناء عودته من بلاد الصين
قتل الملك بعده حفيده خليل بن ميران شاه بن تيمور لك فانتهى الفرصة
السلطان احمد الجلائري فعاد الى العراق واستدفر القبائل العراقية فانضم
اليه خلق كثير وبعد معارك استرد بغداد في السنة نفسها ثم استرد بقية
المدن العراقية فاستقام امره في العراق .

ولم يكد السلطان احمد يستريح من تيمور لك ومن قام بعده حتى حدثت بينه وبين قره يوسف التركماني صاحب ديار بكر واذر بيجان حروب في سنة ٨١٣ هـ انتهت بقتل السلطان احمد غدرًا في السنة نفسها في جوار تبريز ثم انقرضت دولة الجلائريين في سنة ٨١٤ هـ وقامت على انقاضها في العراق دولة الخرق الاسود التركمانية (١) وكانت البصرة في ايام الجلائريين كغيرها من بلاد الرافدين يحكمها الولاة المستبدون ولم يصلنا عنها خبر يستحق الذكر .

واول من ملك العراق من ملوك دولة الخرق الاسود قره يوسف ثم ولي على العراق ابنه الشاه محمود في سنة ٨١٥ هـ فقتل في سنة ٨١٧ هـ فتولى العراق اخوه الشاه محمد بن قره يوسف فقتل ايضا في سنة ٨٤١ هـ وصارت السلطنة الى مير زاجهان شاه بن قره يوسف وتم امره في العراق وديار بكر واذر بيجان وفارس وكرمان فولى في سنة ٨٦٧ هـ على العراق ابنه پيربدق غير ان الحروب بقيت بين رجال هذا البيت حتى ضعف امرهم واصبحت البلاد التي تحت حكمهم ومنها البصرة فوضى تقريرا ولم تكد تلك الفتن تنهي حتى طمع في هذه الدولة حسن الطويل

(١) سميت دولة الخرق الاسود (قره قويونلي) لان ملوكها كانوا يرسمون على اعلامهم خروفاً اسوداً كما كانت دولة الخرق الابيض ترسم على اعلامها خروفاً ايضاً .

التركماني مؤسس دولة الخروق الابيض (اق قور يولي) في ديار بكر
 قامت بينه وبين جهان شاه حروب دامت سنتين فانتهت باستيلاء
 حسن الطويل (اوزون حسن) بن علي بيك على قسم من بلاد هذه
 الدولة في سنة ٨٧٢ هـ ثم عادت الحروب بين الدولتين فأنجلت عن
 اقراض هذه الدولة في سنة ٨٧٤ هـ فقامت مكانها في العراق دولة
 الخروف الابيض . ولم يملك العراق من رجال دولة الخروف الاسود
 غير اربعة ملوك ولم يكن ملكهم في هذا القطر اكثر من ستين سنة

ولم يكن رجال دولة الخروف الابيض اهلاً للملك بل كانوا كرجال
 الدولة التركمانية المنقرضة ومن اجل ذلك قامت بين افراد الاسرة المالكة
 حروب عنيفة بعد موت حسن الطويل في سنة ٨٨٣ هـ فقتل اكثرهم
 واستمرت الفتن والحروب حتى تولى اخرهم السلطان مراد بن يعقوب
 شاه في الوقت الذي كانت فيه الدولة الصفوية الفارسية قد قوي امرها
 وفتحت بلاداً كثيرة فحمل الشاه اسماعيل الصفوي على العراق في سنة
 ٩١٤ هـ واخذه من السلطان مراد بعد حروب . ولم تكن مدة
 حكم دولة الخروف الابيض في العراق اكثر من اربعين سنة . ولم يصلنا
 عن البصرة في عهد هاتين الدولتين التركمانيين شيء يستحق الذكر ولا
 شك انها كانت في اضطراب كثيرها من المدن العراقية بسبب توالي

القتن والحروب منذ قامت دولة الخروف الاسود الى ان انقرضت دولة
الخروف الابيض هذه .

البصرة في عهد الدولة الصفوية الفارسية

كان الشاه اسماعيل الصفوي بن حيدر مؤسس الدولة الصفوية في
ايران قد فتح بلاداً كثيرة واسس مملكة واسعة الاطراف وكان طامحاً
في العراق فلما قوي امره ورأى اصحاب العراق قد انهكهم الحروب
الداخلية جل عليه في سنة ٩١٤ هـ كما تقدم وبعد حروب استولى على
بغداد اولاً ثم على غيرها فدانت له اكثر بلاد الرافدين ولكنه لما انشغل
في حروب خراسان جل السلطان مراد بن يعقوب شاه على بغداد
في سنة ٩١٦ هـ فاستردها فاعاد الكرة الشاه اسماعيل فطرد السلطان
مراد من العراق طرداً نهائياً وقرض دولة الخروق الابيض التركمانية
في سنة ٩٢٠ هـ وولى على العراق حاكماً عاماً احد رجاله المدعو ابراهيم
خان وجعل مقره بغداد فولى هذا الامير على البلاد التابعة له رجالاً من
خاصته ومنها البصرة .

وتوفى الشاه اسماعيل في سنة ٩٣٠ هـ فتولى الملك ابنه الشاه
طهماسب الاول وكان قاسي الحكم فولى على البلاد العراقية رجالاً قساة

مثله فظالموا الناس حتى اضطر اكثر اهل البلاد الى الهجرة من اوطانهم
وعصت اكثر القبائل العراقية واستقلت بنفسها .

وتغلب في السنة نفسها (٩٣٠ هـ) على بغداد الامير ذو الفقار بن
نخود سلطان (١) رئيس قبيلة موصل من عشيرة كلهور الكردية وكانت
قبل ذلك مستولياً على اطراف لورستان فلما دنت له بغداد وبعض
مدن الرافدين احتفى بالسلطان سايمان القانوني العثماني وارسل اليه وفداً
من بغداد لعرض الطاعة والدخول تحت سيادته وخطب له على المنابر
وضرب السكة باسمه . اما الشاه طهماسب فانه لما بلغته اعمال ذي الفقار
تريث حتى اذا ما كانت سنة ٩٣٦ هـ حل على بغداد بجيشه فحاصرها
ولكنه لما عجز عن اخذها بالقوة لحصانة اسوارها يوم ذاك ركن الى
الخداع (والحرب خدعة) فانغرا علي بيك واحمد بيك 'خوي ذي الفقار
واطمعهما بالمناصب الرفيعة والمال فانخدعا فاعتقلا اخاهما وقتلاء غدرًا وسلموا
المدينة الى الشاه في سنة ٩٣٦ هـ وعلى اثر سقوط بغداد سلمت اكثر
المدن فولى الشاه على العراق حاكماً عاماً بكوا محمد خان وجعل مقره بغداد
فولى هذا الامير على البصرة والجزائر قانصو بيك الفارسي وبقيت هذه

(١) ويروى انه كان اميراً على بغداد من قبل الشاه وقد وجهت اليه امارتها في
سنة ٩٣٤ هـ فخلع طاعة الشاه طهماسب بعد اشهر واعلن استقلاله . وقيل وجهت
اليه امارتها في سنة ٩٣٠ هـ فاستقل فيها .

المدينة وسائر المدن العراقية خاضعة للفرس حتي حل السلطان سليمان القانوني على العراق ودخل بغداد فاتحاً في سنة ٩١٤ هـ .

البصرة في العهد العثماني الاول

يقول بعض المؤرخين ان الذي حل السلطان سليمان القانوني على اشهار الحرب على الصفويين قسوة الفرس واضطهادهم السنة ابناء مذهبهم في الوقت الذي كانت الدولة العثمانية قد بلغت فيه مبلغاً عظيماً من القوة فصمم السلطان على الانتقام منهم فاعلنت الحرب عليهم فافتتحت جيوشه تبريز ثم بغداد في سنة ٩٤١ هـ ثم الموصل ودانت له بلاد الرافدين . ولعله اتخذ اضطهاد ابناء مذهبهم ذريعة للاستيلاء على هذا القطر شأناً اكثر الملوك حينما يخدمهم السعد وتقبل عليهم الدنيا .

اما البصرة فانها كانت يوم مجي السلطان سليمان الى بغداد بعد دخول جيشه فيها بايام تحت حكم امير فارسي اسمه راشد خان و كان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار الى بغداد المشول بين يدي هذا الفاتح الكبير فلما قدمها عرض الطاعة والخضوع فأقره السلطان على البصرة على شرط ان تكون الخطابة والنقود باسم السلطان وان يكون ممثلاً لاوامر ولاية بغداد الانراك في المسائل الهامة فعاد راشد خان الى منصبه ولكنه استبد بالامور بعد اشهر كان لم تكن

له رابطة بالدولة العثمانية فاضطرت الى ارسال جيش بقيادة الوزير اياس باشا لطرد راشد خان من البصرة (١) فلما قُترب جيش الاتراك فر راشد خان فدخل الاتراك البصرة بدون حرب في سنة ٩٥٣ هـ فنظم اياس باشا شؤون البصرة وضم اليها واسطا وجزائر شط العرب . وظلت البصرة في قبضة الاتراك التابعين لولاية بغداد الى سنة ١٠٠٥ هـ فاستقل بها امرؤها واستبدوا فيها وحكموا اهلها بما تشتهيهم نفوسهم . دخلت سنة ٩٧٠ هـ فوجهت امار البصرة الى درويش علي باشا التركي . و كان هذا سيء التدبير غير كفؤ للحكم فزال نفوذه وقلت الاموال عنده حتى عجز عن ارزاق الجند المحافظين للمدينة .

استقلال الامراء بالبصرة

كان رجل في البصرة يدعي افراسياب الديري (٢) وكان كاتباً لاميرها علي باشا فلما ضعف امر الامير وقلت عنده الاموال وعجز عن

- (١) ويروى ان السلطان سليمان لما استولى على العراق كان على البصرة حاكماً مغامس بن مانع وهو الذي خضع للسلطان وارسل ابنه راشد لعرض الطاعة فحكم مغامس البصرة ست سنوات ثم استبد بالامور وعصى علي ولاية بغداد الاتراك وكان سبب عصيانه ان جماعة ممن عصوا حكومة بغداد كانوا قد التجأوا بمغامس فطلبهم والي بغداد منه فامتنع عن تسليمهم فاشتد الخلاف حتى عصى مغامس فكتب بذلك الوالي الى السلطان فامر بطرده من البصرة وسيره جيشاً لاختها منه بقيادة والي بغداد اياس باشا وبعد حروب انهزم مغامس الى نجد فاستولى الجيش العثماني على البصرة وذلك في سنة ٩٥٣ هـ
- (٢) الديري نسبة الى الدير الذي هو موضع في شمال البصرة . ويروى ان افراسياب من نسل آل سلجوق الاتراك وان اهل الدير اخواله .

تدبير شؤون الامارة واعاشة الجند حتى استخف به الاهلون نساوم مع كاتبه افراسياب على امارة البصرة فباعها له بثمانية اكياس من الذهب (والكياس ثلاثة آلاف محمديّة) على شرط ان يكون افراسياب خاضعاً لسلطين آل عثمان وان يخطب لهم على المنابر ويضرب السكة باسمائهم وعلى هذه الشروط استلم افراسياب امارة البصرة واستلم علي باشا المال وسار الى الاستانة وذلك في سنة ١٠٠٥ هـ في عهد السلطان مراد الثالث وهذا الحال اعني بيع امارة كامارة البصرة التي هي باب العراق سواء علم بذلك السلطان او بالعكس مما يدل على شيوع الفوضى في المملكة العثمانية يوم ذاك .

ولم تمض على أمر افراسياب اشهر حتى قوي امره وخافه الامراء وكان اهلا للامارة فاحبه الناس لسيرته الحسنة ثم استولى على اكثر الجزائر ومنع ما كان يأخذه من البصرة حاكم الحويزة السيد مبارك خان من الجوائز السنوية التي كانت اشبه بالجزية (او الخاوة) وكذلك منعه من اخذ شي من جهة شط العرب الشرقية (١) وظل السعيد يخدم افراسياب .

(١) يقول بعض المؤرخين ان السيد مبارك هذا هجم بمجموعته سنة ١٠٠٦ هـ على قرى البصرة فقتل ونهب فوجهت الدولة العثمانية ايلة بغداد للوزير حسن باشا واودعت اليه قيادة جيوش العراق وضمت اليه شهر زور على ان يقع الفتن التي يثيرها السيد مبارك في جهات البصرة ، والظاهر ان المؤرخ اخطأ في التاريخ وان الحادثة كانت قبل بيع امارة البصرة الى افراسياب . والحويزة قصبة بخورستان اعني الامواز .

حتى بقي مستقلاً بالبصرة وما يتبعها سبع سنوات ، فتوفي بالبصرة في سنة ١٠١٢ هـ وتولى الامارة ابنه علي باشا بوصية منه وكانت حازماً كإبيه فافتتح بقية الجزائر (١) وكوت معمر وكوت الزكية وفتح صدره للعلماء والشعراء وأمن السبل ، وفي أيامه ولد بالبصرة في سنة ١٠٢٥ هـ شهاب الدين ابن معنوق الموسوي البصري الشاعر المتوفي سنة ١١١١ هـ

وفي أيامه في سنة ١٠٣٦ هـ زحف القائد الفارسي صفي قلي خات بجيش كبير من الفرس على البصرة بأمر من الشاه عباس الأول بغداد ان افتتح الشاه بغداد في سنة ١٠٣٢ هـ فحاصر هذا القائد البصرة حصاراً شديداً دافع في خلاله علي باشا دفاع الأبطال وبينما هم في ذلك اذ فاجئهم خبر موت الشاه فتركوا الحصار وعادوا الى بغداد اذ كان صفي قلي خان يوم ذاك قائداً لجيش بغداد الفارسي .

وبقي علي باشا منفرداً بالحكم حتى مات في سنة ١٠٥٧ هـ فتولى الامارة ابنه حسين باشا فورده منشور السلطان بتوجيه الامارة اليه على جري العادة في ذلك العهد فاستبد بالامور واساء السيرة والتدبير وظلم الاهلين حتى

(١) الجزائر هي الجزائر المتكونة من سواحل شط العرب وكانت كثيرة منها قرية بني منصور وقرية بني حميد ، ونهر عنتر ونهر صالح ودبار بني اسد ودبار بني محمد . والفتح . والقلاع ونهر السبع ونهر صالح والباطنة والمنصورية والاسكندرية ومواقع الخز وكانت الجزائر تشتمل على قرى عديدة معمرة وطوائف كثيرة وهي كثيرة المياه ومرة المسالك .

كرهوه وتقموا عليه ثم حدثت بينه وبين عميه احمد اغا وفتح بك ولدي
افراسياب وحشة فسارا الى عاصمة آل عثمان فشكيا الى السلطان اعمال
حسين باشا واستبداده وظلمه فاصدر السلطان محمد الرابع امره بطرده
من البصرة وبتجهيز الجيوش بقيادة والي بغداد مرتضى باشا فجهزت
الجيوش من بغداد وغيرها من المدن العثمانية وسار مرتضى باشا قاصداً
البصرة في سنة ١٠٦٣ هـ

وبلغ ذلك حسين باشا فاستعد للحرب وحصن القلاع خصوصاً
قلعة القورنة (١) فالتقى الجيشان وبعد قتال حاصر مرتضى باشا البصرة
ودام الحصار ثلاثة اشهر وانتهى الامر بهزيمة حسين باشا ودخول مرتضى
باشا البصرة ظافراً في سنة ١٠٦٤ هـ وفر حسين باشا باهله وامواله وحاشيته
الى بلاد ايران .

ولما دخل مرتضى باشا البصرة صادر اموال جماعة من الوجهاء
وقتل بعض الاعيان المواليين لحسين باشا ثم قتل احمد اغا وفتح بك
واستعمل الشدة والظلم حتى تقم الناس وكرهوه ويئسوا من الحال باضطراب
اذ حدثت فتنة بين جنود مرتضى باشا الذين في القورنة فثار اهل الجزائر

(١) القورنة كانت قلعة صغيرة فلما تولى البصرة علي باشا ابن افراسياب زاد فيها
وجعلها قلعة كبيرة فسميت العلية ثم زاد في تشييدها واتقانها حسين باشا ابن علي باشا
وجعلها ثلاث قلاع حصينة .

على الباشا وتبعهم اعراب قشعم والمتفكرون وخزائل وبنو كعب وبنو
لام قتلوا عماله واصبحت البصرة محاطة بالثائرين فاضطر مرتضى باشا
الى الخروج من البصرة منهزماً بعساكره الى بغداد .

وعلى اثر انسحاب مرتضى باشا من البصرة ارسل البصريون
الى اميرهم الفارح حسين باشا يطلبون قدومه اليهم فاقبل في السنة
تقسها (١٠٦٤) فدخل المدينة باحترام وعاد الى منصبه فدان
للسلطان وكتب اليه يطلب عفو و يرجو توجيه الامارة اليه وقدم
اليه هدايا ثمينة فصدر منشور السلطان بتوجيه امارة البصرة الى
حسين باشا ولقبه بلقب الوزير ايضا على عادة السلاطين في ذلك العهد
مع كل امير قوي . وظل حسين باشا مستقلاً بالبصرة ولكنه اعاد
حكمه القاسي واستبد بالامور وظلم الناس وتجبر ثم طمع بالاحساء فسير
لاخذها جيشاً في سنة ١٠٧٣ هـ فافتتحها جيشه عنوة وفتك باهلها فتكا
فريماً ونهب وقتل وفر حاكمها محمد باشا الى عاصمة آل عثمان مستغنياً
بالسلطان فغضب السلطان على حسين باشا وامر بطرده من البصرة
ووجه قيادة الجيش الى والي بغداد ابراهيم باشا فاجتمع الجنود العثمانية
من البلاد في بغداد فسار الوالي بجيش كبير قاصداً البصرة في
سنة ١٠٧٥ هـ

واتصل خبر هذه الحملة بحسين باشا فاستعد للحرب فالتقى الجيشان

عند قلعة القورنة فدارت رحى الحرب بين الفريقين ثم حاصر ابراهيم
 باشا القورنة حصاراً شديداً وفي اثناء ذلك ارسل الى البصريين كتباً
 يدعوهم للخضوع الى السلطان ويحذرهم عاقبة العصيان ويهدم ويمنيهم
 فثاروا على محمد بن فداغ نائب حسين باشا فقتلوه وقتلوا اعوانه وطردهوا
 من البصرة عيال حسين باشا فبلغ ذلك حسين باشا وهو يومئذ محاصر
 في القورنة فارسل ثلاثة آلاف فارس من قبائل المنيك واهل الجزائر
 للتنكيل بالبصريين فهاجموا عليهم ليلا فقاتلهم البصريون داخل المدينة
 ولكنهم انكسروا وفروا فقتل الاعراب احد الوجهاء الشيخ ذي الكفل
 وجماعة من الوجهاء وغيرهم ونهبوا وخرّبوا واحرقوا دوراً كثيرة وفتكوا
 بالاهلين .

واستمرت الحرب بين ابراهيم باشا وبين حسين باشا ثلاثة اشهر
 فمجز الاول فاضطر الى المصالحة وبعد مراسلات تم الصلح على شروط
 منها ان يدفع حسين باشا نفقات هذه الحرب ستمائة كيس من النقود
 وان يسلم في كل سنة مائتي كيس من النقود الى خزينة الدولة وان يعيد
 متصرف الاحساء محمد باشا الى منصبه . وتعهد ابراهيم باشا بصددور
 عفو السلطان وتوجيه اماره البصرة الى حسين باشا واخذ معه يحيى اغا
 ابن علي اغا صهر حسين باشا ليأخذ منشور السلطان بالامارة ورجع
 ابراهيم باشا الى بغداد وعاد حسين باشا الى البصرة وانتهت هذه الفتنة

في سنة ١٠٧٦ هـ

ولما رجع ابراهيم باشا الى بغداد ومعه يحيى اغا انهزم اربعة من الكواوزة الذين ضاق بهم الحال مع حسين باشا لسوء سيرته وهم احمد بن محمود و ابراهيم بن علي واثنان اخران (١) وانضموا الى ابراهيم باشا ثم توجهوا مع يحيى اغا الى الاستانة فاطمعه بولاية البصرة فاتفق معهم وغدر بصاحبه وحيه حتى اذا ما وصلوا الاستانة شكى جميعهم الى السلطان ظلم حسين باشا واستبداده. واتفق في تلك الاثناء وصول كتاب من وجهاء البصرة الى السلطان مع جماعة منهم يشككون فيه اعمال حسين باشا وحكمه القاسي واخذ الاموال بالباطل ، اذاغتصب اموال التجار والاعيان وفنك بكثيرين منهم بعد مصالحته مع ابراهيم باشا والي بغداد فاجتمع الوجوه سرّاً وكتبوا كتاباً الى السلطان شكوا فيه ما يقاسونه من الظلم والعسف والاستبداد وارسلوه مع جماعة منهم الى العاصمة ليقدموه الى السلطان :

فلما كثرت الشكوى على حسين باشا عند السلطان أصدر امره بطرده من البصرة طرداً نهائياً وتوجيه امارتها الى يحيى اغا ووجه اليه

الكواوزة او بيت الكواز ينسبون الى الكواز الشيخ محمد المشهور بالكواز وهم اولاده ولهذا البيت منزلة رفيعة بالبصرة والشابغ انهم من نسل العباسيين وهم المعروفون اليوم بالباش اعيان ،

رتبة الوزارة فدعى يحيى باشا واودعت قيادة الحملة الى الوزير ابراهيم باشا والي بغداد ويروى ان قيادة هذه الحملة كانت قد اودعت الى الوزير قره مصطفى باشا بأمر من السلطان محمد الرابع في سنة ١٠٧٨ هـ فاجتمع الجيش العثماني ببغداد وانضمت اليه جيوش الرقة والموصل وشهرزور وغيرها حتى بلغ عدد الجيش على ما قيل خمسين الف مقاتل .

واتصل خبر هذه الحملة الكبيرة بحسين باشا فاستعد للحرب وصادر اموال التجار والمثربين وارسل امواله وعياله الى بلاد ايران وظل يجمع الجوع حتى بلغ عدد جيشه خمسة عشر الف مقاتل فتوجه به نحو القورنة فأصدر أمره باخلاء البصرة فاخلوها في ثلاثة ايام وخرج اهلها من ديارهم في اسوأ حال ثم امره اهل القرى التابعة للبصرة بالجلء عن ديارهم فتركوها بعد ان نهبت رجاله اكثر اموالهم وقتلوا وعذبوا من خالف الامر وكان الموظفون على تخلية تلك الديار اعوان هذا الامير القاسي الحكم منهم احد مماليكه علي بن احمد بن شاطر وحسب بن طهماز وغيرها .

والتقى جيش السلطان بجيش حسين باشا بالقرب من القرنة وبعد معارك دامت اياماً انكسرت جيوش حسين باشا فاضطر الى ان يتحصن في قلاع القورنة فانهزمت عساكره ثانية واستولى الجيش التركي على قلاع القورنة فاعمل السيف في اهلها وقد قتل في هذه المعركة الاخيرة

نحو الاربعة آلاف من الاعراب فانهزم حسين باشا بمحاشيته الى بلاد
ايران قاصداً شيراز فدخل الجيش العثماني ظافراً وذلك في سنة ١٠٧٨ هـ (١)
وانتهى امر استقلال الامراء بالبصرة .

ولاية البصرة الاتراك

دخل الجيش العثماني البصرة فتولى ولايتها يحيى باشا ورتب جيشاً
لحماية المدينة ونظم شؤونها ولكنه بعد ان عادت الجيوش الى اماكنها
وقوي امره تغيرت سيرته فرفض قبول الدفترى (الدفتردار) التركي
وامتنع عن اداء نفقات الجيش ثم طرد الدفترى وامراء الجيش وطلب
ان ينفرد بالحكم على ان يؤدي في كل عام مائتي كيس من النقود الى
خزينة الدولة واستمر على عقوه منفرداً بالحكم حتى حدثت بينه وبين
الانكشارية الذين في القورنة فتنة بسبب تأخير مرتباتهم فارسل لقتالهم
فرسانا من القبائل العربية التي تحت حكمه فقتلهم ونجا منهم من فر
فبلغ ذلك السلطان فاصدر امره بعزله وبتوجيه ولاية البصرة الى قره
مصطفى باشا المعروف بقبوجى باشى وذلك في سنة ١٠٨٠ هـ فصار

() وقبل في سنة ١٠٧٩ هـ ثم سار حسين باشا من شيراز الى الهند وهناك تولى

بعض المدن ثم قتل في حرب حدثت بينه وبين احد الولاة .

الامير الجديد بجيش من الاتراك فاستلم البصرة وبقى على امارتها الى سنة ١٠٨٣ هـ فابدل بمحافظ بغداد حسن باشا ثم عزل وتولى مكانه السلاحدار حسين باشا في سنة ١٠٨٥ هـ فظل على ولاية البصرة الى ان نقل في سنة ١٠٨٨ هـ الى ولاية ديار بكر فاعيد على البصرة حسن باشا ثم طلبه السلطان في سنة ١٠٩٢ هـ وارجع على ولاية البصرة السلاحدار حسين باشا ثم عزل في سنة ١٠٩٤ هـ ووجهت ولاية البصرة الى الوزير عبد الرحمن باشا وكان هذا الوزير من خيرة الولاة عالما فاضلا حسن السيرة والتدبير محباً للعلم والعلماء فجدد بناء المساجد واحيا بعض المدارس واسس المدرسة المعروفة بالرجانية (نسبة اليه) وخفف عن الاهلين بعض الضرائب ومن اجل ذلك احبه البصريون حباً جاً ولكنه عزل في سنة ١٠٩٨ هـ وتولى بدله حسين باشا المكر كجي فاساء السيرة وظلم الاهلين فمزله السلطان في سنة ١٠٩٩ هـ واعاد الوزير عبد الرحمن ففرح البصريون بعودته فلم يدم فرحهم الا قليلا لان السلطان عزله في سنة ١١٠٠ هـ وولى على البصرة دفترها السابق حسين باشا ومنح له لقب الوزير ايضا فثار في ايامه سنة ١١٠٢ هـ الشيخ مانع أمير المنتفك وخرج على الدولة فحدث بينه وبين حسين باشا هذا عدة معارك انجلت عن انكسار حسين باشا شر كسرة اعدم نصرته والي بغداد له وكانت

النتيجة ان قوي امر مانع فاستولى بعد انتصاره بقليل على حصان وبدره
ومندلي . وعلى اثر ذلك عزل السلطان حسين باشا عن البصرة وارسل
بدله الوزير احمد باشا ابن عثمان باشا .

هجمات المنتفكين على البصرة

تولى احمد باشا البصرة فحدث في ايامه طاعون شديد الوطأة فمات
به خلق كثير من البصريين فانغم الاعراب فرصة انشغال البصريين
وأمرهم بهذا المرض الفئاك فاتفق اهل الجزائر والمنتفكيون على غزو
البصرة ونهبها فحمل عليها منهم ثلاثة آلاف فارس بقيادة أمير المنتفك
الشيخ مانع فبلغ ذلك احمد باشا فلم يتمكن من جمع جيش كاف لصددهم
فخرج لقتالهم بخمسمائة فارس فالتقى بهم في الدير فتقاتلوا ثلاثة ايام فانجلت
المعركة عن تمزيق جيش البصرة وودوع احمد باشا قتيلا في المعركة .

واتصل خبر هذه الحادثة بالبصريين فاتفقوا على تولية الكتبخدا
حسين اغا ليقوم بصد الاعراب فولوه عليهم فجمع منهم جمعا كبيرا للدفاع
ويدنا هو في ذلك اذ هجم الثأثرون على المدينة فوقف لصددهم ودافع
دفاع المستميت حتى تمكن من طردهم ولا يمكنه قتل بعد ذلك في
سنة ١١٠٣ هـ فاتفق البصريون على نصب حسين الجمال واليا عليهم فقام

بالامر حتى وجهت الولاية الى خليل باشا اخى والى بغداد احمد باشا
 في سنة ١١٠٤ هـ فجمع خليل باشا جيشا من بغداد وجاءت اليه الجيوش
 نجدة من الموصل وشهرزور بأمر من السلطان لقتال امير المنتفك مانع
 فقاد الحملة بنفسه حتى التقى بمانع في الجزائر وبعد حروب دامت خمسة
 ايام انكسرت جيوش خليل باشا فاضطر الى التقهقر فاستولى الامير مانع
 على معسكره ونهب امواله وذخائره وتمحصن خليل باشا في البصرة .
 وقوي امر مانع حتى اضطر السلطان الى استمالته وكتب اليه
 كتاباً يدعو فيه الى الطاعة والخضوع وينصحه ويحذره عاقبة الشقاق
 والخلاف . واصر امره بزيادة مخصصاته فخضع مانع لامر السلطان
 وعاد الى مقره وهدأت الاحوال .

استيلاء المنتفكين على البصرة

لما صفى الجو لخليل باشا والى البصرة اطلق العنان لاعوانه
 فاستبدوا بالامور وظلموا الاهليين واضطهدوهم على مرأى ومسمع منه
 حتى ضاق الحال بالبصريين فاتفقوا على طرده فثاروا عليه وطرده
 هو واعوانه وسلموا المدينة الى امير المنتفك الشيخ مانع وذلك في سنة
 ١١٠٦ هـ والظاهر ان الشيخ مانع هو الذي سبب هذه الثورة ليتسنى له

الحكم بالبصرة .

وبقى الشيخ مانع اميراً على البصرة الى سنة ١١٠٩ هـ منفرداً بالحكم والدولة العثمانية لا تبدي حراً كالضعفها وكانت النتيجة ان خدع حاكم الحويزة فرج الله خان مانعاً واستعمل عليه الحيل والدسائس والخداع حتى اخرجه من البصرة فاستولى عليها .

دخول البصرة

في قبضة الفرس واخراجهم منها

استولى فرج الله خان حاكم الحويزة على البصرة كما ذكرنا فلما استتب امره فيها استخلف عليها احد رجاله المدعو داود خان فدخلت البصرة تحت سيادة الفرس .

و بلغ خبر استيلاء فرج الله خان على البصرة الى السلطان فلم يشأن يتركها له وهو من ولاية الفرس المستقلين في تلك الجهات فوجه ولاية البصرة الى والي حلب علي باشا وامره بجمع العساكر من البلاد لقتاله واخراجه من البصرة فاجتمعت الجيوش من حلب وديار بكر والموصل وسيواس وبغداد حتى بلغ عدد الجيش نحو الخمسين الفا على ما نقل فصار علي باشا بالجيوش حتى وصل القورنة في سنة ١١١١ هـ فسمع داود خان بقدوم هذا الجيش الكبير فانهزم من البصرة فدخلها علي باشا بدون قتال فدانت له المدينة ومسا

يُدبها من القرى والقبائل فساد الأمن والسكون وعادت البصرة الى الدولة العثمانية بعد ان ملكها حاكم الحويزة العارمي محوياً من سنتين .

استيلاء المنتفكين على البصرة ثانية وطردهم منها

دخلت سنة ١١١٤ هـ فوجت ولاية البصرة الى محمد باشا القودان فدام حكمه فيها الى سنة ١١١٨ هـ فعزل وارسل بدله الوزير خليل باشا فثار في ايامه في سنة ١١٢٠ هـ امير المنيك الشيخ مغامس وهجم على البصرة فاستولى عليها عنوة فاضطربت الاحوال وفقد الأمن وسادت الفوضى فبلغ ذلك السلطان فاصدر أمره الى والي بغداد حسين باشا بجميع الجيوش واخراج الاعراب من البصرة فصدع الوالي بالامروجاته النجدات بسامر من السلطان من حلب والموصل وديار بكر وشهرزور حتى اجتمع عنده جيش كبير فسار به قاصداً البصرة .

واتصل خبر هذه الحملة بمغامس فجمع الجموع من المنتفكين والنجديين واستعد للحرب وبنى قلعة كبيرة على نهر عنتري في القورنة حشد فيها جموعه فوصله الجيش العثماني فاحاط به من كل الجهات فدارت بين الطرفين حرب هائلة انتهت بهزيمة امير المنتفك في سنة ١١٢١ هـ فاحتل حسين باشا القورنة ثم توجه الى البصرة فدخلها ظافراً فوجت ولايتها

الى كيتخدا بغداد مصطفى اغا وبعد ان نظم حسين باشا شؤون
البصرة وجعل عليها حامية عاد الى بغداد وعادت الجيوش الى اماكنها
واقتمت تلك الفتنة .

وبقيت ولاية البصرة تنتقل من وزير الى آخر كلهم من الاتراك
العثمانيين من سنة ١١٢٤ هـ الى سنة ١١٥٦ هـ ولم يحدث فيها في هذه
المدة غير تبديل الولاة وبعض الحوادث الطفيفة بين القبائل العربية تارة
وبينهم وبين الولاة اخرى مما لا اهمية له .

اغارة نادر شاه على البصرة

عندما خلع الشاه عباس الثالث الصفوي وتوصل القائد الفارسي
نادر خان الى الجلوس على عرش ايران وقرض الدولة الصفوية واعلن
ملوكيته في سنة ١١٤٨ هـ وسمي نادر شاه ولقب نفسه بطهاسب الثالث طمع
بالعراق فاشهر الحرب على الدولة العثمانية واغار على البصرة والقورنة في
سنة ١١٥٩ هـ ثم توغل في البلاد الفراتية ووصل الحلة ثم حاصر بغداد
في عهد الوزير احمد باشا فلم يتمكن من اخذها وظلت الحرب بينه وبين
الاتراك الى سنة ١١٥٩ قتم الصلح بينه وبينهم ولم تقف على تفاصيل
هذه الغارة على البصرة والظاهر انه لم يدخل المدينة .

وظل العثمانيون بعد هذه الحادثة يولون على البصرة متمسكين بما بعد متسلم

الى سنة ١١٨٨ هـ ولم يحدث فيها في هذه الاعوام الطوال شي يستحق الذكر سوى ثلاث حوادث الاولى ثورة امير قشعم محمد بن مانع في سنة ١١٣٧ هـ فاخضعه والي البصرة عبد الرحمن باشا ثم عفى عنه وامنه بعد ان اخذ منه اموالاً كثيرة . والثانية هجرت الشيخ سليمان رئيس قبيلة بني كعب والتجائه بكرم خان الزندي في سنة ١١٧٨ هـ فاسكنه مع قبيلته بارض الدورق . وصار تابعا للفرس بعد ما كانت تابعا للدولة العثمانية بسبب ما قاساه من ظلم والي بغداد عمر باشا . والثالثة صدور أمر والي بغداد عمر باشا الى متسلم البصرة سلام اغاسي محمد اغا بقتل جماعة من الوجوه وبصادرة اموال بعض القبائل مما سبب الاختلال بالبصرة .

استيلاء كريم خان الزندي على البصرة

كانت احوال البصرة مضطربة جدا في عهد والي بغداد عمر باشا في الوقت الذي كان فيه امر كريم خان الزندي المتغلب على مملكة ايران قد قوي فاغتنم فرصة ذلك الاضطراب فاعلن الحرب على العثمانيين وارسل اخاه صادق خان بجيش كبير في اواخر سنة ١١٨٨ هـ فحاصر البصرة ومعه الشيخ سليمان رئيس بني كعب بقبائله وعلي البصرة يومئذ

مسلم سليمان بك احد المماليك الاترك المعروف بأبي سعيد الذي تولى
امارتها في سنة ١١٨٢ هـ . فدام الحصار ثلثه عشر شهراً في عهد السلطان
عبد الحميد الاول حتى اضطر المسلم سليمان بك بعد الدفاع الطويل الى
التسليم في سنة ١١٩٠ هـ (وسبب ذلك تقاعد والي بغداد عمر باشا
نصرته مع ان السلطان كان قد ارسل نجدة ومالاً لصد الفرس وارسل
جماعة من القواد الكبار الى بغداد ليجهزوا الحيوش فطمعوا بالمنصب
والاموال وتقاعدوا عن امر البصرة ثم حدثت بينهم فتن عديدة مما
لا محل لذكرها في هذا المختصر على ان المتتمكين كانوا قد جاؤ نجدة
للبرصيين وقاتلوا معهم ولكنهم لما طال امد الحصار رجعوا الى مواطنهم)
ولما دخل صادق خان البصرة بعد ان امن المسلم والوجوه اسر المسلم
وجماعة من الاشراف والاعيان والتجار وساقهم مخفورين الى شيراز
خاصة اخيه كريم خان واضطهد الاهلين حتى اذا ما كانت سنة
١١٩٢ هـ حدثته نفسه بالاستيلاء على بلاد الممليك فجهز
جيشاً كبيراً فسيره بقيادة اخيه محمد علي خان وعلى الممليك يومئذ
الاميران ثامر بن سعدون و ثويني بن عبد الله . فبلغ ذلك المنفيون
فاستعدوا للقتال واجتمعوا بالعصيلة (ويروى الفضيلة) قرب الفرات فالتقى
الجيشان فاستمرت الحرب يوماً وليلة وكانت حرب عنيفة فانجلت عن

حتى ضيقوا على حاميتها خاف صادق على نفسه من ان يمد والي بغداد المتفكيين فيقع في الاسر وقد اصبغ بعد موت اخيه وحيداً لاناصر له خصوصاً وان زكي خان كان قد تغلب على عرش ايران فانهزم من البصرة ليلاً باتباعه في السنة نفسها (١١٩٣) فدخلها المتفكيون وكتبوا بذلك الى حكومة بغداد وعلى ولايتها يومئذ الكتبخدا اسماعيل بك وكيلا فارس الى البصرة متسلما نعمان بك وانتهت هذه الحادثة بعد ان دام حكم الفرس بالبصرة نحواً من ثلاث سنوات .

نسلم نعمان بك متسلمية البصرة وعلى اثر وصوله اطلق الفرس الاسراء ومن جملتهم سليمان بك المتسلم فارجمه السلطات الى منصبه بعد ايام قليلة ثم وجه اليه بعد اشهر ولاية العراق فعرف بالوزير سليمان باشا الكبير وبعد وصوله بغداد بايام ارسل سليمان افندي متسلما للبصرة في سنة ١١٩٤ هـ

وفي ايام سليمان افندي المتسلم في سنة ١١٩٩ هـ ثار امير خزاغة محمد بن حمود على الحكومة فشن الفسارات على اطراف البصرة فاستنجد المتسلم بسليمان باشا فجهز له جيشاً كبيراً فالتقى الجيش بالثائر في الاهواز فانتصر عليه وفرق جوعه وفر حمود الى الحسكة وعلى اثر ذلك عزل سليمان افندي في سنة ١٢٠٠ هـ وارسل بدله من بغداد ابراهيم بك متسلما على البصرة .

استيلاء المنتفكين على البصرة

كان قد خرج على حكومة بغداد رجل يدعى عجم محمد فجمع الجموع من اهل البلاد والقبائل فقاتله الوزير سليمان باشا حتى مرق جموعه قتلاه سليمان بك الشاوي نثار ايضا على الوزير طمعاً في منصبه وحاول على ما ينقل تأسيس دولة عربية في العراق ولكنه فشل وتمزقت جموعه فالتجأ بامير المنتفك ثو بني بن عبد الله كما التجأ عجم محمد بامير خزاعة حمد بن حمود فانغرى كل منهما صاحبه على الثورة فاتفق الجميع على قتال سليمان باشا وخلعه من ولاية العراق فاجتمعوا واعلنوا الخروج فحملوا على البصرة وزعيمهم امير المنتفك ثو بني ولكن كل من الاربعة يريد الولاية لنفسه . فهجموا على البصرة في اواسط سنة ١٢٠٠ هـ وبغداد حرب طفيفة استولوا عليها وقبضوا على متسلمها ابراهيم بك فحبسوه وصادروا امواله ثم نقوه الى مسقط وصادروا اموال ~~الكثير~~ التجار وجبوا الرسوم والضرائب وضيقوا على الناس حتى اضطر ~~الكثير~~هم الى الهجرة الى بغداد وغيرها .

واتصل خبر هذه الحادثة بالوزير سليمان باشا فجهز جيشاً كبيراً من العرب والاكراد والانكشارية وغيرهم وصار به نحو البصرة على طريق

المتفك وهناك التقى بالثأرين في محل يسمى ام العباس فاقوم بهم ومزقهم
فانهزم اميرهم ثويني فولى الوزير علي المتفك اميراً جود بن ثامر بن
سعدون ثم سار الى البصرة فانهزم منها من كان فيها من الثأرين فدخلها
بسلام في اواخر سنة ١٢٠١ هـ وبعد ان نظم شؤونها ولى عليها متسلماً
مصطفى اغا الكردي وجعل لحمايتها فرقة من عساكر الاكراد وعاد هو
ومن معه الى بغداد .

القتال في البصرة وغارة امير نجد عليها

بقى مصطفى اغا الكردي على البصرة الى سنة ١٢٠٣ هـ فامتنع عن
ارسال الخراج الى بغداد وعصى على الحكومة وبعد حوادث طويلة قتل
رئيس بوارج الدولة مصطفى اغا الحجازي وسعى في ايقاد ثورة في البلاد
ولكنه لم ينجح في مسعاه فزحف عليه الوزير سليمان باشا بجيشه حتى
دني من البصرة فانهزم مصطفى اغا الى الكويت فدخل الوزير البصرة
فولى عليها متسلماً عيسى بك المارديني وذلك في سنة ١٢٠٤ هـ .
وظل عيسى بك في منصبه الى سنة ١٢٠٨ هـ فعزله الوزير وارسل
بدله عبدالله اغا فكث في منصبه الى سنة ١٢١٣ هـ فحدث بينه وبين
الوزير سليمان باشا خلاف فعصى عليه فجهز الوزير لقتاله جيشاً فانهزم

عبد الله اغا ولكننه بعد ايام قليلة سار الى بغداد وخضع للوزير وطلب
عفو فعمي عنه وارجهه الى منصبه في سنة ١٢١٤ هـ فدام حكمه في البصرة
الى سنة ١٢١٦ هـ ف عزل الوزير وارسل بدله صهره سليم بك .

ولما مات الوزير سليمان باشا الكبير ببغداد في سنة ١٢١٧ هـ عزل
صهره سليم بك عن البصرة (١) وارسل بدله ابراهيم اغا متسلماً .

وفي ايام المتسلم ابراهيم اغا هذا في سنة ١٢٢٠ هـ زحف أمير نجد
سعود بن عبد العزيز بمجموعه على البصرة فهجم عليها فدافع المتسلم دفاعاً
شديداً حتى ضاق الحال باهل المدينة قاستغاثوا بالمتفكيين فجاءهم جود
بن ثامر بمجموعه نجدة فاضطر امير نجد الى الانسحاب ولكننه عند عودته
احرق بعض القرى ونهب وخرب .

وعزل المتسلم ابراهيم اغا في سنة ١٢٢٣ هـ وارسل بدله من بغداد
سليم بك فاستقر أمره في البصرة حتى اذا ما كانت سنة ١٢٢٥ هـ حدث
بينه وبين الوزير سليمان باشا التتيل وحشة فاعز الوزير الى امير المتفك
جود بن ثامر بطرده من البصرة فحمل عليه جود فقتل المتسلم وتفرقت
جوعه فاضطر الى الهزيمة فدخل جود البصرة وكتب بذلك الى الوزير
فارسل اخاه احمد بك متسلماً للبصرة في السنة نفسها .

وعلى أثر قتل الوزير سليمان باشا الصغير (الواليل) عزل اخوه احمد

(١) وسليمان باشا هذا هو الذي جدد سور البصرة واسواقها وعمر قصبة الزبير ،

بك عن البصرة ووجهت متسلميتها الى رضوان اغا في سنة ١٢٢٦ هـ ثم عزل وارسل بدله يعقوب اغا سنة ١٢٢٧ هـ فعزل ايضاً في سنة ١٢٢٨ هـ وتولى مكانه سعيد اغا فعزل بعد سنة وارسل بدله في سنة ١٢٢٩ هـ بكر اغا فمكث هذا في منصبه الى سنة ١٢٣٦ هـ فعزل وخل مكانه محمد كاظم اغا بابي السوق المعروف اليوم بسوق كاظم اغا . وفي ايامه خرج على الحكومة محمد بن ثاقب بن وطبان الزبيري فهجم بمجموعه على قصبة الزبير اولاً فصدده عنها اهلها بمساعدة آل الزهير ثم قصد البصرة فجمع كاظم اغا الاهلين وضم اليهم جيشه فدافع حتى تمكن من طرد الثائر .

وعزل كاظم اغا في سنة ١٢٣٩ هـ فعين متسلماً على البصرة عبدالقني اغا فعزل بعد سنة .

غارة المتفكيين

وهجوم بني كعب على البصرة

تولى متسلمية البصرة في سنة ١٢٤٠ هـ عزيز اغا وكان اهلاً لهذا المنصب فدام حكمه الى سنة ١٢٤٧ هـ وفي ايامه في سنة ١٢٤٣ هـ عزل الوزير داود باشا جوداً عن امارة المتفك لأمور تقمها عليه وولى بدله على المتفك عقيل بن محمد بن ناصر فثار غضب جود واعلن الخروج على

الدولة وجع الجوع وسيرها بقيادة ابنه ماجد وفيصل لاخذ البصرة
وخشى الفشل فراسل سلطان مسقط السيد سعيد ورؤساء بني كعب
يطلب منهم النجدة فجاءته نجدة مسقط في السفن ونجدة بني كعب
على الخيل ، فنزل ماجد بالجيش البري قريباً من نهر معقل (١) ونزل
فيصل بالجيش البحري أو النهري بابي سلال فلما تكاملت الجيوش
حاصرا البصرة برأ ونهراً فدافع البصريون دفاعاً شديداً وعاضدهم بنو
عقيل النجديين وقتلوا معهم فدامت المعارك بين الفريقين نحواً من
شهرين فانجلت عن هزيمة الهاجيين في السنة نفسها .

وفي أيامه في سنة ١٢٤٦ هـ على اثر عزل الوزير داود باشا وأسر
وتولية امارة العراق على باشا اللاط هجمت عشيرة بني كعب على البصرة
فقاتلهم البصريون بزعامة آل الزهير ومعاودة بني عقيل النجديين
فطردوهم خاسرين .

وعلى أثر هذه الحادثة عزل على باشا عزيز اغا وارسل بدله مقصداً
على البصرة عبد القادر باشا فمات هذا بالبصرة في مرض الطاعون بعد
بضعة اشهر من توليته . وعزيز اغا هذا هو الذي جدد بناء مسجد بدر
المتصل بسوق كاظم اغا عرف بمجامع عزيز اغا .

(١) نهر معقل احد انهار البصرة القديمة وينسب الى معقل بن يسار بن عبد الله الذي
احفره ومقتل هذا من مشاهير البصرة وقد توفي في ايام مساوية بن ابي سفيان .

البصرة بعد الوزير داود باشا

كانت البصرة في عهد الوزير داود باشا امير العراق قد اخذت تدب فيها روح المدنية ولكنها ما كانت تنجو من ظلم متسلميها المستبدين من المماليك الاثرak^(١) حتى اذا ما انتهت حكومة المماليك من العراق في سنة ١٢٤٧ هـ بعد اسر الوزير داود باشا وشرع ولاية بغداد في بعض الاصطلاحات نالت البصرة شيئاً قليلاً من ذلك الاصطلاح وظلت تابعة تارة لولاية بغداد يه لون عليها من شاؤا من اهلانهم واحيانا يرشح الولاية من ارادوا فيصدر امر السلطان بتعيينه وآونة يرسل السلطان متسلماً عليها من عاصمته ، وبقي الحال على ذلك الى سنة ١٢٨٨ هـ بعد عزل الوزير مدحت باشا فانفصلت البصرة عن ولاية بغداد وربطت بالعاصمة (الاستانة) وصار السلطان يرسل اليها المتصرفين تارة والولاية اخرى ولكن اهلها ذاقوا مرارات انواع المظالم من اولئك الرجال الذين تواردوا عليها ممن لا يهمهم غير جمع الاموال بحق او بغير حق ولا تأخذهم في قبول الرشوة لومة لاثم .

(١) وقد حكم البصرة جماعة كبيرة من المماليك الاثرak اشهرهم سليمان بك الذي تولى متسلميتها في سنة ١١٨٢ هـ وسليم بك الذي قتله عبد الله باشا والي بغداد في سنة ١٢٢٥ هـ

ومن الحوادث التي جرت بعد عهد الوزير دارد باشا. اخذ عدة مقاطعات من الشيوخ كاراضي مهيجران ونهر حوز وغيره من المتفكيين وضمها الى اموال الدولة في عهد والي بغداد رشيد باشا الكوزلكي في سنة ١٢٧٣ هـ واخذ مقاطعات أخرى من بعض رؤساء القبائل وضمها الى خزينة الدولة في ايام نامق باشا والي بغداد في سنة ١٢٨٢ هـ وسبب ذلك على ما نقل انهم كانوا قد تغلبوا على تلك الاراضي واخذوها من الحكومة في يوم ضعفها بغير حق .

ومنها هياج وجوه البصريين على المتسلم سليمان بك التركي (١) الذي تول البصرة في سنة ١٢٨١ هـ فظلم اهلها وابتز اموالهم حتى اضطروا الى رفع الشكوى الى والي بغداد تقي الدين باشا فاكثفى الوالي بتقريره فلم ينته فلما تولى ولاية بغداد نامق باشا رفعوا شكواهم اليه فعزله .

ومنها ان الحكومة بدأت باخذ الضريبة على النخيل على حساب الجريب منذ سنة ١٢٨٢ هـ ثم ربطت اكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب في سنة ١٢٨٦ هـ وفوضت في السنة نفسها اكثر الاراضي

(١) سليمان بك هذا من المماليك الاتراك ويقال انه جاء من الاستانة منفيا الى بغداد وهو والد محمود شوكت باشا الشهير .

الاميرية ببدل المثل . واسست دائرة البلدية في المدينة ثم اردفها بتأليف محكمة التمييز وسيرت سفناً بخارية في دجلة بين بغداد والبصرة في سنة ١٢٨٥ هـ في عهد الوزير الخطير مدحت باشا . ومنها نصب ناصر باشا السعدون والياً على البصرة في سنة ١٢٩٢ هـ وجعلها ولاية بعد ان كانت متصرفية وعزل ناصر باشا في سنة ١٢٩٤ هـ وارجاع البصرة متصرفية في سنة ١٢٩٧ هـ

البصرة في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني

كانت البصرة متصرفية الى ايام السلطان عبد الحميد الثاني وظلت على حالها حتى اذا ما كانت سنة ١٣٠١ هـ جعلت ولاية عثمانية فتوالى عليها الولاة الاتراك الذين كانوا يرسلون من الاستانة وكان معظمهم من المستبدين في الاحكام لا يبالون بالظلم وقبول الرشوة وابتزاز اموال الناس من اي وجه كان ولا يهمهم غير منافعهم الشخصية الا من ندر منهم ولم يحدثوا اصلاحاً يذكر ولا قاموا بعمل حيوي ، ومن اشهر هؤلاء الولاة المشير نافذ باشا الذي تولى سنة ١٣٠٥ هـ وهداية باشا المتولي سنة ١٣٠٩ هـ وفخري باشا الذي تولى وكالة الولاية في سنة ١٣٢٢ هـ ومخلص باشا المتولي سنة ١٣٢٢ هـ غير ان هذين الاخيرين من خيرة الولاة الذين

جاءوا في العهد الحميدي خصوصاً مخلص باشا فانه كان من المصلحين على اننا لا ننكر ان هذه المدينة زادت عمارتها وتوسعها في عهد السلطان عبدالحميد خان الثاني وصارت حسنة الاسواق كثيرة العمار مع ما كان يحدث في ذلك العهد من الاضطرابات بسبب هجرات اللصوص عليها اذ كانت فيها يومئذ عصابات مؤلفة من الاعراب والعبيد المتشردين فكانوا يهجمون على المدينة تارة ليلاً واحياناً نهاراً فيدخلونها بصورة مريمة فيقتلون وينهبون ثم يعودون الى اماكنهم بعد ان يأخذوا ما شاؤوا من النقود التي للتجار سواء كانت في الدور أم في المخازن أم في الاسواق وعدا ذلك فقد كانت الطرق في اكثر الاحيان يقطعها اللصوص أو الاعراب الثاثرين على الحكومة فينقطع سيرايلواخر في دجلة و يمكننا ان نقول كانت الفوضى ضاربة اطنابها في البصرة وما حولها في العهد العثماني الاخير .

اما العلوم فلم يكن لها اثر في هذه المدينة ولا كان فيها غير عدد قليل من المدارس الابتدائية الرسمية التي أسست في العهد الحميدي . ومهما كانت حالة البصرة غير مرتاحة في عهد عبدالحميد فانها كانت يومئذ قد زادت عمارتها وتوسعت واخذت تجارتها بالرقى وزادت ثروة اهلها و كثرت نفوسها بسبب كثرة القادمين اليها الاتجار من بلاد مختلفة .

البصرة بعد اعلان الدستور

اخذت هذه المدينة تسير نحو الرقي وال عمران منذ اعلنت الدولة العثمانية الحكم بالدستور في سنة ١٣٢٦ هـ وقلت هجمات عصابات اللصوص عليها وجرى فيها بعض الاصلاح . ومن اشهر ولايتها في ذلك العهد عارف بك المارديني الذي تولى في اول سنة ١٣٢٧ هـ وسليمان نظيف بك الكاتب التركي المشهور المتولي في آخر سنة ١٣٢٧ هـ . ولو لالفتن التي كانت تثيرها يد المغرضين حينذاك لزهت البصرة في تلك الايام . ويمكننا ان نقول انها ارتاحت كثيراً في ذلك العهد وان حدثت فيها بعض الاضطرابات التي لانرى الوقت مساعداً لذكرها في هذا المختصر وبحق لنا ان نقول ان البصرة لم تر عهداً بعد العصر العباسي الاول مثل عهد الدستور من حيث النهضة التجارية والحركة العمرانية والنظام الانتظام .

سقوط البصرة

بيد البريطانيين

قامت الحرب العامة في اواخر سنة ١٣٣٢ هـ وعلى البصرة يومئذ وكيلاً للولاية القائد صبحي بك وكانت الحكومة العثمانية قد سيرت اكبر الجنود العراقية الى جهات قفقاسيا وارسلت جيشاً ضعيفاً نحو الخمسة آلاف جندي اكثرهم من العراقيين الى البصرة وسدت شط

العرب عند الفاو فهجم اسطول البريطانيين على الفاو في منتصف شهر
 ذي الحجة من السنة المذكورة فاندحر الجيش العثماني بعد بضعة ايام
 ثم انسحب من البصرة في آخر يوم من هذا الشهر فدخل البريطانيون
 المدينة في اليوم الثاني من محرم سنة ١٣٣٣ هـ ثم سقطت القورنة في ٢٠
 محرم سنة ١٣٣٣ هـ بعد معارك عنيفة قام بها القائد العثماني صبحي بك
 حتى نفدت ذخائره الحربية فاضطر الى التسليم .
 وحاول العثمانيون استرداد البصرة من البريطانيين فجمعوا جيشا
 كبيرا فحدثت بين الفريقين حروب دامت ثلاثة ايام في الشعبية فانتهت
 بفشلهم وباتحاد القائد سليمان عسكري بك وذلك في شهر جمادي الاخرة
 سنة ١٣٣٣ هـ وعلى اثر ذلك سقطت العمارة في اوائل شهر رجب ثم سوق
 الشيوخ في اوائل رمضان ثم الناصرية في اليوم التاسع من رمضان
 وبقيت الحروب بين الدولتين حتى سقطت بغداد بيد البريطانيين في
 ١٥ جمادي الاولى سنة ١٣٣٥ هـ الموافق ل ١١ آذار سنة ١٩١٧ م .



تنبیه

جاء في حاشية الصفحة الحادية عشرة (و بقی شرح علی القضاء الخ)
والاصح ان عمر نقله الى قضاء الكوفة فظل على قضائها الى ايام
الحجاج .

وجاء في صفحة ٢٢ في السطر الحادي عشر (ولكنه عزله في سنة ١٣٩) وولى عليها سفيان (والاصح ان سليمان بقي في البصرة حتى مات بها في سنة ١٤٢ هـ).

ولما كانت أكثر المكتب اليوم لا تخلوا من الأغلاط المطبعية وقد وقع في هذا المختصر بعض الأغلاط التي لا تخفى على رجال العلم فنلتمس من القراء الكرام ان يعذرونا عن ذلك .

كما انى ارجو ان يرشدونى الى موضع الخطأ التارىخى خدمة للوطن
وان يعذروني عن ذكر الحوادث التي لا تساعد الظروف على نشرها .

۱۳۴۲

ممعجم البلدان	لياقوت الحموي
وفيات الاعيان	لابن خلكان
الاخبار الطوال	لابي حنيفة
الدعاة	
التمدن الاسلامي	لجرجي زيدان
دائرة المعارف	لقريد وجدي
تاريخ ابن الاثير	
تاريخ الامير حيدر	
قرة العين في تاريخ بغداد والبصرة وبين النهر بين رشيد السعدي	
خلاصة تاريخ العراق	للاب انستانس
الفوز بالمراد	» »
تاريخ الادب العربي	
تاريخ احمد رفيق التركي	
تاريخ نعيما التركي	
صالنامة البصرة لسنة ١٣١٨ هـ لمحمد نجيب بك آل بابان	
مطالع السعود	
القرماني	

للشيخ محمد النبهاني

التحفة النبهانية

لفتح الله المكي

زاد المسافر

تقويم العراق لسنة ١٩٢٣م لصاحب جريدة العراق رزوق افندي

نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ليوسف افندي غنيمة



الفهرست

صفحة	
٣	الفصل الاول البصرة القديمة
٦	وقعة الحفير
٧	وقعة الثني
٧	مسير خالد الى الشام
٩	فتح الابله
٩	تأسيس البصرة القديمة
١٢	البصرة في عهد الخلفاء الراشدين
١٤	وقعة الجمل
٢٤	امارة عبد الله بن عباس على البصرة
٢٧	البصرة في عهد الامويين
٢٨	امارة زياد على البصرة
٣٧	خروج البصرة من يد الامويين
٤٩	امارة مصعب بن الزبير على العراق
٤٤	رجوع البصرة الى بني امية
٤٧	امارة خالد
٥٠	امارة الحجاج
٥٩	استيلاء بن الاشعث على البصرة

٥٣	استيلاء ابن المهلب على البصرة
٥٨	انقراض الدولة الاموية
٦٢	البصرة في عهد العباسيين
٦٣	فتنة ابراهيم بن عبد الله واستيلائه على البصرة
٦٥	الاضطرابات في البصرة
٦٧	البصرة في عهد الرشيد
٧٠	البصرة في عهد المأمون
٧٢	الفتن في البصرة
٧٣	استيلاء الزوج على البصرة
٧٧	انتهاء امر الزوج
٧٩	انحطاط البصرة وهجمات القرامطة عليها
٨١	الفتن في البصرة وهجوم القرامطة ايضاً
٨٣	ولاية ابن رائق على البصرة
٨٤	استيلاء البريدي على البصرة
٨٦	استيلاء معز الدولة البويهى على البصرة والبصرة في عهد بنى بويه
٨٨	امارة حبشي على البصرة وعصيانه
٨٨	امارة المرزبان وعصيانه
٩٠	عضد الدولة وشرف الدولة والبصرة

- | | |
|-----|---|
| ٩١ | البصرة في ايام بهاء الدولة |
| ٩٣ | استبداد ابي العباس في البصرة |
| ٩٤ | البصرة في عهد سلطان الدولة |
| ٩٨ | البصرة في عهد السلجوقيين |
| ١٠٠ | غزو الاعراب البصرة واستيلائهم عليها |
| ١٠١ | استبداد اسماعيل بن سلاجق بالبصرة وعصيانه فيها |
| ١٠٣ | امارة سيف الدولة على البصرة |
| ١٠٥ | امارة آقسنقر البخاري على البصرة |
| ١٠٦ | استيلاء ابن سكيان على البصرة |
| ١٠٧ | رجوع البصرة الى الخلافة العباسية |
| ١٠٩ | استيلاء ابن شنكا على البصرة |
| ١١٠ | غزوة العامريين البصرة |
| ١١١ | البصرة في اواخر ايام العباسيين |
| ١١٢ | الدولة الايلخانية المغولية في البصرة او خراب البصرة القديمة |
| ١١٩ | الفصل الثاني البصرة الحديثة |
| ١٢٠ | البصرة الحديثة في عهد الايلخانيين |
| ١٢١ | البصرة في ايام الدولة الجلائرية وايام تيمور لك |
| ١٢٥ | البصرة في عهد الدولة الصفوية |

١٢٧	البصرة في العهد العثماني الاول
١٢٨	استقلال الاصراء بالبصرة
١٣٦	ولاية البصرة الانراك
١٣٨	هجمات المتفكيين على البصرة
١٣٩	استيلاء المتفكيين على البصرة
١٤٠	دخول البصرة في قبضة القرس واخراجهم منها
١٤١	استيلاء المتفكيين على البصرة ثانية وطردهم منها
١٤٢	اغارة نادرشاه على البصرة
١٤٣	استيلاء كريم خان الزندي على البصرة
١٤٧	استيلاء المتفكيين على البصرة
١٤٨	الاقلاق في البصرة وغارة امير نجد عليها
١٥٠	غارة المتفكيين وهجوم بني كعب على البصرة
١٥٣	البصرة بعد الوزير داود باشا
١٥٤	البصرة في عهد السلطان عبد الحميد الثاني
١٥٦	البصرة بعد اعلان الدستور
١٥٦	سقوط البصرة بيد البريطانيين



To: www.al-mostafa.com